

مُتَشَبِّهًا مَثَانِي

جمع وترتيب
حسام خليل

قدم له أ.د. عبد الباسط محمد السيد
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
رئيس جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة
بمكة المكرمة

مُتَشَابِهًا مَثَانِي

الزمر - ٢٣

العقيد حسام خليل

ات و لمح بلاغية حول المتشابهات القرآنية
بعض اللطائف والتوجيهات الإيمانية
مح بلاغية حول المتشابهات القرآنية
بعض اللطائف والتوجيهات الإيمانية

"مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره،
كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم
مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب،
ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح
فقرءوا ما في الكتاب".

إياس بن معاوية

(مقدمة تفسير القرطبي)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

**والصلاة والسلام على سيد ولد آدم وعلى آله
وصحبه وسلم:**

وبعد،،،،،

قرأت أكثر من مرة كتاب "متشبهاً مثاني"

لسيادة الأخ العقيد/ حسام خليل، وهو جهد طيب وعظيم ولا أكون مغالياً لو قلت إنه
في كثير من المواضع تعجز كلماتي عن حمل المعاني وذلك لأن القرآن الكريم لا
تفني عجائبه ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد.

ويكفي أن القرآن الكريم يأتي يوم القيامة بكرة وكأنه لم يفسر، كل إنسان فسر حسب
استقرائه.

أسأل الله أن يجعله في ميزان حسنات من رتب وصنف، وإن شاء الله يكون هذا
بداية لمحاولات أخرى كثيرة.

أ.د/ عبد الباسط محمد السيد

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس جمعية الإعجاز العلمي للقرآن والسنة

أستاذ التحاليل الطبية بالمركز القومي للبحوث



مقدمة

الحمد لله المنان، منزل الفرقان على نبيه العدنان، بلسان عربي يعجز عن وصفه البيان.

الحمد لله منزل القرآن على خير الأنام (ﷺ) الذي كان يقرأ سورة (ق) على المنبر فيستمع إليها الصحب الأخيار فيفهموا معناه ولغته وفصاحه لسانه، فتتشعر جلودهم وتهتز قلوبهم لسحر بيانه، فيكفيهم ذلك موعظة فترة من الزمان.

أما وقد آل حال تلکم اللغة الباسلة الآن مع أبنائنا لما يندى له الجبين خجلاً، فمع الدعوة إلى إحلال العامية مكان هذه اللغة العظيمة ودخول بعض المصطلحات المبتذلة في اللغة، فقد أصبحنا كالأعاجم، فقد يُقرأ القرآن علينا كاملاً فلا يتحرك لنا ساكن إلا من رحم ربي، **ولكن المصاب فينا لا في تراثنا** ا.هـ. (١).

لذلك كثر بعد القرون الخيرية الأول مثل هذه الكتب التي بين يدي القارئ الكريم الآن والتي تبحث في علوم القرآن، ولكن الأصل أن مرجع هذه العلوم هو كتاب الله؛ لذلك يقول الله تعالى:

﴿... وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا

بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران - ٦٤.

(١) كتاب كيف أتوب؛ للشيخ محمد حسين يعقوب، ص ١٢.

وما هذه إلا اجتهادات وفواتح ربانية وإلهامات يمن الله بها على من يشاء ولا حرج على فضله سبحانه، فالله يرزق من يشاء بغير حساب.

عندما تناولت الكتب المصنفة في مجال متشابهات القرآن، وجدت أن منها ما قد تُوسَّع فيها وجُعِلَ منه أجزاء كل جزء منها متخصص في بعض الأمور، ومنها على سبيل المثال كتاب (كنوز قرآنية للدكتور/ هشام الزهرى) وهذا الكتاب شبه موسوعة قرآنية من أربعة أجزاء، تم إفراد الجزء الأول منها ليتناول حروف الجر في القرآن وترتيب الألفاظ والسور، ودلائل القرآن الكونية والفقهية، والقَسَم في القرآن، ثم تناول في سائر الأجزاء الرسم العثماني والحروف المقطعة في فواتح السور، ثم تناول في الجزء الأخير أمرَ المتشابهات القرآنية وبعض المعاني الإيمانية والتوجيهات البلاغية في الآيات، فمثل هذه الكتب أرى أنها موسوعة يُخاطَبُ بها متخصصون في مجال القراءة والإقراء، لذلك راعيت في هذا البحث - منعاً للتكرار الممل أو الاختصار المخل - تصنيف بحث يُخاطَبُ من هو على أول الدرب من طلاب حلقات تحفيظ القرآن كدليل معاون على الحفظ، وقد تعمدت أن أراوح بين دفتي الكتاب على ذكر بعض اللطائف واللمح البلاغية والإيمانية ومسائل أخرى يندر ذكرها ومعرفتها، منعاً للرتابة والملل، ونوعاً من التشويق لطلاب القرآن وحلِّق التحفيظ، وهذا هو الغالب على معظم مادة الكتاب، وقد أتعرض في بعض الأحيان القليلة في الكتاب إلى الإطناب في ذكر بعض الشروح للآيات، وبعض دقائق الأمور في التجويد والنحو التي جاءت في كتاب الله على سبيل الحصر، وذلك لطالب العلم المتخصص، وأيضاً لإضفاء معانٍ جديدة للقارئ، (وهذا هو مناط البحث في هذا الكتاب).

متشابه القرآن في أعمال السابقين^(١):

أشار **أبو جعفر بن الزبير الغرناطي**^(٢) رحمه الله في كتابه **(ملاك التأويل)** إلى أن هذا المجال أغفله الأئمة المصنفون في تفسير القرآن ولم يقرعه ممن تقدم وسلف أحد إلا ما كان من كتاب **(درة التنزيل وغرة التأويل)** **للخطيب الإسكافي**^(٣)، ومن صنف في هذا الباب **الكرمانى**^(٤) في كتابه **(البرهان)**، وقد نظم **السخاوى**^(٥) علم المتشابه في منظومته **(هداية المرتاب في المتشابه)** المعروفة بالسخاوية، وذكر السيوطى في الإتقان أن للقاضى بدر الدين **بن جماعة**^(٦) كتاباً لطيفاً سماه **(كشف المعانى في متشابه المثاني)**.

(١) مقدمة كتاب ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطى (ج ١/ص ١٠٥) - باختصار.

(٢) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير، يكنى بأبى جعفر، عاش بغرناطة وتوفى بها ٧٠٨ هـ. (الذهبي في تذكرة الحفاظ ج ٤/ص ١٤٨٤).

(٣) لعله أول من أفرد في علم المتشابه بالتصنيف، كما ذكر صاحب كتاب ملاك التأويل، توفى ٤٢٠ هـ. (ج ١/ص ٣).

(٤) محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى، الشافعى، ويعرف بتاج القراء (برهان الدين، أبو القاسم) مقرئ، مفسر، فقيه، نحوى، صرفى، توفى بعد سنة ٥٠٠ هـ.

مجمع المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة (ج ١١/ص ١٦١).

(٥) هو من الباحثين في علم متشابه القرآن توفى ٦٤٣ هـ - (كتاب المتشابه اللفظى في القرآن للدكتور رشيد الحمداوى).

(٦) هو شيخ الإسلام / بدر الدين بن جماعة (المتوفى ٧٣٣ هـ) تم نشر الطبعة الأولى لكتابه عام ١٤١٠ هـ. بمعرفة دار الوفاء بالمنصورة.

أسباب تصنيف هذا البحث

تفكرت فيما بين يديّ من أعمال أستطيع أن أقول: (اللهم إني أسألك وأتقرب إليك بكذا...) فلم أجد إلا أعمالاً معيبة مجروحة وكبوات كثيرة، وتذكرت قول المصطفى (ﷺ) في الحديث الذي رواه أبو هريرة: (إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية أو **علم ينتفع به** أو ولد صالح يدعو له)،^(١) ثم قلت لنفسى ويحك كيف ترتقين هذا المقام الصعب؟ وكيف تتطلعين لهذا المنصب الرفيع؟ إنما ذلك شأن أرباب البصائر المستنيرة والهمم العالية والقلوب المحبّبة، ولكن اعلمى أنه لا حرج على فضل الله، فإنه سبحانه يعفو وقد يعفو عن الكثيف والكثير، ويمهل وكأنه يهمل فترى أيدي العصاة مطلقة، وكأنه لا مانع لهم، فإذا أخذ، أخذ أخذ جبار، وإذا أخذهم لم يفلتهم، فكما أنه يعفو عن الكثيف فإنه أيضا يأخذ باليسير، فرجوت الله أن يفتح لي الباب فأدخل متطفلاً مع الداخلين، ثم بدأت البحث فيما أستطيع طرقه من أبواب العلم فتبين فقرى الشديدي في هذا الأمر، إلا أنني تذكرت فترة دراستي بمعهد أبيّ بن كعب لعلوم القرآن على يد شيخنا وأخيها العزيز الشيخ محمد حسن^(٢)، فأذن الله أن يكون هذا البحث في المتشابهات بفضل الله.

(١) صحيح مسلم (ج٢/ص١٢٥٥).

(٢) (مقدم برنامج لرواية ورش بالفضائيات، والجاز في الروايات العشر الكبرى والصغرى في سن مبكرة من عمره) والذي أكن له عظيم القدر بما نفعني

الله به على يديه التحويل من علوم القرآن والتي لم يخل بشيء منها على طلابه، فقد استقيننا منه مسائل ندر وقل أن يعرفها إلا خبير خاصة في مجال

التحويل والمتشابهات *

الآيات المتشابهات من منظور اللغة والبلاغة

إذا ذكر الله سبحانه وتعالى آية في موضع في كتابه العزيز ثم أعاد الآية بتمامها أو باختلاف في حرف أو كلمة أو مقطع من الآية، فإن هناك حكمة تُطلب ويُبحث عنها، كما قال **الفضيل بن عياض** لطلبة العلم حين وقفوا ببابه: (لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وناسخه ومنسوخه، فإذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة) ^(١).

وعندما بدأت في المحاولة الأولى لحفظ كتاب الله الكريم وذلك عام ٢٠٠٥م ومع الرحلة الممتعة مع سور القرآن من سورة الناس حتى وصلت إلى سورة الأعراف وجدت تشابهاً شديداً في قصص الأنبياء، وقد استوقفتني هذا بعض الشيء في الحفظ، ومع الأخذ في الاعتبار قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ الْقَمَرِ

-﴾، أدركت أن الأمر يحتاج توفيقاً وفتحاً من الله وإخلاصاً ومجهوداً يجب أن يُبذل في هذا الأمر، فبدأت ببعض التفسيرات حتى وصلت إلى بعض المفسرين الذين اعتنوا بالناحية البلاغية والنحوية واللغوية في الآيات، وقد نفعني في ذلك تفسير الأئمة الأعلام رحمهم الله جميعاً ومنهم: **الزمخشري والنسفي والألوسي والقشيري وإسماعيل حقي الإستانبولي** - تفسير روح البيان - **والرازي وابن عاشور والشعراوي (مع الاحتراز من أمر العقيدة عند بعض هؤلاء العلماء العظماء)**، ولكن ما يعينني هو الإشارات النحوية والبلاغية لهؤلاء العلماء في أمر الآيات المتشابهات.

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١/ ص ٢٢).

ثم تطرقت لكتب التشابهات فتبين لى أن هناك مدرستين في أمر التشابهات:

المدرسة الأولى:

قام أصحاب هذه المدرسة بسرد المتشابه مجرداً من الأسباب اللغوية والبلاغية تيسيراً على من أراد الحفظ، ومن هؤلاء من زاد على ذلك فقام بوضع مفاتيح وعلامات للقارئ لمساعدته على الحفظ، مثل كتاب (دليل الحفاظ في متشابه الألفاظ، تأليف يحيى عبد الفتاح الزواوى).

أما المدرسة الثانية:

فهم أصحاب مقولة: (إذا ذكر الله سبحانه آية في موضع في كتابه العزيز ثم أعاد الآية بتمامها أو باختلاف في حرف أو كلمة أو مقطع من الآية فإن هناك حكمة تُطلب ويُبحث عنها).

فبدأت الاهتمام بهذا الأمر وتدوين هذه المعلومات في هوامش المصحف، ولكن خوفاً من فقد هذه النسخة والتي أدون فيها ما تحصلت عليه من فوائد راودتني فكرة تدوين هذه الملاحظات، وهى مجرد خواطر قمت بجمعها لنفسى أولاً تثبيتاً للحفظ، ثم وجدت لزماً على نشرها لتعم الفائدة، وهى ليست تأويلاً لكلام الله وإنما مجرد منارات على الطريق لأهل القرآن، وكما قال الإمام مالك:

العلم صيد والكتابة قيده قيدٌ صيودك بالخيال الموثقه

وقال آخر:

وما من كاتب إلا سيلى
ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه^(١)

ولولا هذا الأمر لما تجرأت على أن أسطر ما جمعته من كتب العلماء الأفاضل، فما أنا إلا متسلق على أكتاف العلماء ومتطفل على هؤلاء العظماء.

أيضاً من الأسباب المهمة لهذا البحث في المتشابهات

* - قول **إياس بن معاوية**: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلاً وليس عندهم مصباح، فتداخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما في الكتاب^(٢).

* - عن **محمد بن عبد الرحمن بن زيد** قال: (قال **أبو بكر وعمر** رضي الله عنهما: لَبَعْضُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ حِفْظِ حُرُوفِهِ)^(٣).

* - قال **الحسن البصري** رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ

(١) أوردته صاحب تفسير روح البيان (ج ١٠ / ص ٤٧٠).

(٢) مقدمة تفسير القرطبي (ج ١ / ص ٢٦).

(٣) مقدمة تفسير القرطبي (ج ١ / ص ٢٣).

لَيَذَبُّوْاْ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ص- ﴿٣٦﴾، قال: (والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله وما يرى له القرآن في خلق ولا عمل)^(١).

وجدير بالذكر قول **القرطبي**^(٢) في قول الله: ﴿أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ أَلْقُرْآنَ ؕ وَلَوْ

كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ النساء - ﴿٨٧﴾؛ حيث قال: دلت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه، فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي (ﷺ)، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، وفيه دليل على الأمر بالنظر والاستدلال وإبطال التقليد، وفيه دليل على إثبات القياس ١.هـ.

فائدة هامة ذكرها الغرناطي في مسألة المتشابهات:

ذكر **الغرناطي** في كتابه ملاك التأويل فائدة عن سبب ورود القصة الواحدة بأكثر من سياق وتعبير ومترادفات، وذلك في خواطره حول قصة موسى عندما آنس ناراً حيث وردت في (طه/النمل/القصص) بصيغ مختلفة فقال الغرناطي:

من المعلوم -بإعلام الله سبحانه- أنه تعالى لم يرسل رسولاً إلا بلسان قومه، فموسى، عليه السلام، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني (الذي هو لسان قومه)، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة، فالوارد في كتابنا

(١) تفسير ابن كثير (ج ٤/ ص ٣٢).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج ٥/ ص ٢٩٠).

إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى، عليه السلام، وخاطب به، واللسان العبراني أقرب الألسنة إلى اللسان العربي، فما المانع أن يجرى فيه ويطرود كل ما في اللسان العربي من الضروب المذكورة قل أو كثر ذلك^(١).

قلت والله أعلم:

أى قد يكون مراد **الغرناطي** رحمه الله حتى لا يخلو كتاب الله من لهجات ولغات العرب ولسان القبائل المختلفة فيقولون: (ما بال هذا الكتاب خلا من هذا النوع من البلاغة) ومثال لذلك قول الله في سورة طه ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا نِ لَسِحْرَانِ....﴾ طه - باعتبار (إن) مثقلة في بعض الروايات القرآنية، ومن المعلوم أن اسم (إن) يُنصب، فما باله هنا رُفِع بالألِف...؟ والغرابة أن القرآن قد استخدم هنا لغة قمامة التي تلزم المثنى ألف الاثنين بغض النظر عن موقعها من الجملة كما قال الشاعر العربي:

وَاهَا لِسَلْمَى ثُمَّ وَاهَا وَاهَا يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا

هِيَ الْمُنَى لَوْ أَنَّهَا نَلْنَاهَا وَمَوْضِعُ الْخُلْخَالِ مِنْ قَدَمَاهَا

إِنَّ أَبَاهَا وَأَبَا أَبَاهَا قَدْ بَلَّغَا فِي الْجَدِّ غَايَتَاهَا

(١) ملاك التأويل للغرناطي (ج ٢/ص ٣٣٣).

قلت:

أما قول الغرناطي رحمه الله: (وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة).^(١)

فما ندين به لله كما هو عند أهل السنة والجماعة (أنهم يثبتون القرآن لله صفة كمال وعظمة وجلال، تكلم به سبحانه بصوت وحرف - لكن ليس بصوت ولا حرف مثل حروف البشر - سمعه منه جبريل وسمعه النبي من جبريل وسمعه الصحابة من النبي ﷺ)^(٢)، ولا أدري: هل مراد الغرناطي رحمه الله خلاف ذلك أم لا.

الأقوال الماثورة عن السلف الصالح إلهام جاءهم من القرآن والسنة:

إنك إذا تتبعته الكثير من الأقوال الماثورة عن السلف الصالح وأصحاب البصائر المستنيرة فستجد أن معظم هؤلاء قد استنبطوا هذه الماثورات نتيجة فتح رباني وفهم دقيق وتدبر عال لآيات الذكر الحكيم، فما من أحد يدلي بدلوه في بحار العلم إلا وله شاهد ودليل من القرآن أو السنة، وانظر - على سبيل المثال لا الحصر - إلى مقولة **أبي زيد** التي أوردها **القرطبي** في تفسيره والتي اقترنت بشدة بآيات القرآن وما فيها من تقديم وتأخير بلاغي معجز.

غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى، ظننت أني أحبه فإذا هو أحبني، قال الله تعالى: ﴿...يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ...﴾ [المائدة: ٥٤]. وظننت أني أَرْضَى عنه فإذا هو قد رَضِيَ عني، قال الله تعالى: ﴿...رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ...﴾ [المائدة: ١١٩]. وظننت أني أذكره فإذا هو يذكرني، قال الله تعالى:

(١) كتاب ملاك التأويل (ج ٥/ص ٣٣٣).

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، للعلامة صدر الدين علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ص ١٢١) - بتصرف.

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. [العنكبوت: ٤٥] وظننت أني أتوب فإذا هو قد تاب علي، قال

الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].^(١)

(١) تفسير القرطبي، (ج ٨ / ص ٥٩٩).

فلذة مهمة في قواعد الفتح على الإمام

ممن تكلم في قواعد الفتح على الإمام وكما يدعى بعض أئمة المساجد (أنه إذا اختلطت عليه القراءة في الصلاة باستخدام لفظ مكان آخر وكان اللفظان قريبين في المعنى بأن ذلك لا يضر بالصلاة، وأنه لا يتعين على المأموم رده أو الفتح عليه لدعواه سالفه الذكر، وأنه إذا رده مأموم فإن المأموم يعرض صلاته للبطلان)^(١)؛ ولكن من خلال ما وقفت عليه أثناء البحث في المتشابهات واستناداً إلى ما قاله الكثير من العلماء: (ما من حرف في القرآن يقال: إنه زائد)^(٢)، فلكل حرف علة وحكمة عرفها من عرفها وجهلها من جهلها^(٣)، وقد رد فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله على من قال: (ما زائدة)، فقال في حقه: إذا كنت لا تعلم فقل: لا أعلم، ولا تفت بغير علم.

وقال الإمام **الرازي**: (ونحن نقول بأن كل كلمة وردت في القرآن فهي لمعنى، وكل ترتيب وجد فهو لحكمة)^(٤).

(١) فتاوى مركز الفتوى موقع الشبكة الإسلامية بإشراف: د. عبد الله الفقيه (رقم الفتوى ٦٢٦٢٩، بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦، الفتح على الإمام

بين الوجوب والجواز).

(٢) ذكر د/محمد إبراهيم الحنفاوى - أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة في أكثر من موضع في تحقيقه لتفسير القرطبي، فقال: (هكذا

قال أكثر المفسرين - يقصد قولهم بوجود حروف زائدة مثل (ما) و(من) - ولكننا نتره كلام ربنا عن هذا الزعم) ١. هـ. (ج ٩/٢١).

(٣) قال الشيخ عيد حسن: الكلام عن الترادف في القرآن قد جوزه بعض العلماء بحجة أنه من الممكن أن يقوم لفظ مكان آخر؛ بحيث يؤدي معناه، مثل

(هلم، أقبل، تعال، أسرع، عجل)، ولكن الجمهور على أنه ليس هناك ترادف في القرآن الكريم، وأنه لا توجد لفظة تؤدي نفس المعنى للفظة

القرآنية، ومنهم من استدل على عدم وجود الترادف في القرآن الكريم بقوله: سبحانه في سورة النجم: (تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضِيرَى) النجم

- أي جائرة، فهذه اللفظة غريبة في صياغتها فلا توجد لفظة تؤدي معناها على الإطلاق.

(٤) تفسير الرازي، (ج ٢٥/ص ١١٤).

لذلك أعتقد -والله أعلم- استناداً إلى قول الله تعالى: ﴿...وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ

﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

﴿فصلت - ٤٢﴾. فإن زيادة أو نقصان حرف واحد في الآية قد يؤدي إلى معنى مختلف تماماً عن مراد الله، مثال لذلك:

﴿لَكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ المؤمنون - ﴿١١﴾

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف - ﴿٧٣﴾ بدون حرف الواو وبإفراد فاكهة.

الأولى جنات وفواكه الدنيا فهناك محذوف تقديره (ومنها تعصرون وتتخذون سكرًا وتخزنون..). أى أن أغراضها متعددة، لذلك أتى بالواو. أما آية الزخرف فهي فاكهة الآخرة، وفي الآخرة أنت في غنى عن عمل كل هذا، فكل ما تشتهيجه تجده أمامك بلا عناء فلا تحتاج أن تعصر أو تتخذ سكرًا كما في فاكهة الدنيا فلم تذكر الواو، والله أعلم^(١).

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني، لفاضل السامرائي، (ج ١/ص ٤).

مسألة بشأن أسئلة المسابقات القرآنية

كثيراً ما تجد في بعض مسابقات القرآن من يقوم بتوجيه أسئلة إلى الحُفاظ تحتوي على الكثير من المخالفات الشرعية والتكلف، ناهيك عن أنها توهم غير مراد الله من الآية، وذلك بزعم اختبار قوة حفظ الطالب، وقد أغلظ بعض العلماء في الرد على هؤلاء، فمما يُذكر من هذه الأمثلة -وهذا على سبيل المثال- لا الحصر- فالبدع في هذا المجال لا حصر لها:

تجد من وجّه سؤالاً إلى الطالب، يقول له أكمل من قول الله:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...﴾ النور - ﴿٦٨﴾

وهذا مشابه تماماً لمن قال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الماعون - ﴿٤٠﴾، ثم قطع

القراءة، فهذا قد اقتطع شطر من آية النور ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ

فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور - ﴿٦٨﴾ وهذا الأسلوب في الأسئلة لا يستقيم، لقول الله ﴿إِنَّهُ

لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الطارق - ﴿٩٠﴾

ولكن هناك مواضع في القرآن لم تأت إلا مرة أو مرتان أو ثلاثة ولم تتكرر على مدار القرآن، وعند ذكرها فهناك غرض منها وتبحر بنا إلى مِرْفَأٍ وغاية بلاغية أو إضافة

معنى للآية، مثال لذلك قوله سبحانه: ﴿..اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ

عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ....» القصص - ﴿٨٧﴾ مع ملاحظة أن قوله: (..اللَّهُ- جاءت بفتح هاء لفظ الجلالة).

هذا مقطع من آية لم يأت إلا في موضع واحد ليس له ثانٍ في القرآن، وذلك في سورة القصص على لسان قوم قارون: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا^ص وَيَكَآنَهُ^ص لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ القصص -



هناك لطيفة في هذه الآية:

إن هذا السياق في الحديث عن بسط الرزق مطلقاً دون تقدير أو تضيق لم يأت إلا هنا مع قصة قارون، لذلك ذكر (مِنْ عِبَادِهِ) مع البسط ولم يذكر لفظ (لَهُ) مع يقدر (سيأتى ذكر تفصيل ذلك والحديث عن الرزق في القرآن وأنه على ثلاثة أشكال). أما ما ذكرناه آنفاً فلا يبحر بنا إلى مرفأ وليس إلا تكلف قد يوقع صاحبه في المحذور، والله أعلم.

منهجى في إعداد البحث

أولاً:

قدمت لهذا البحث بمسائل عدة تضمنت أسباب تصنيف الكتب التى على شاكلة هذا البحث، ثم أشرت إلى أعمال السابقين في هذا المضمار، كما تطرقت إلى أسباب إقدامى على إعداد البحث، ثم ذكرت مسائل متفرقة خاصة بأقوال السلف الصالح وعلماء السنة في بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن؛ من حيث أهمية العلم بتفسيره وإعرايه، وفقاً لما أجمع عليه علماء الأمة من أهل السنة.

ثانياً:

قمت بتناول ما يسره الله لى من الآيات التى تكررت في القرآن الكريم بصيغ مختلفة، سواء في مقطع أو كلمة أو حرف من الآية، وقمت بالنظر في تفسير هذه الآيات معتمداً على بعض التفاسير المشار إليها سالفاً والتي يعتمد أصحابها على إظهار أوجه البلاغة في القرآن والإعجاز في اختيار الألفاظ.

ثالثاً:

قمت بتتبع هذه الآيات في كتب المتشابهات القرآنية المشار إليها (بملحق المراجع)، فكنت أجد أحياناً أكثر من تأويل منها ما ذكر مختصراً يسهل على العامي فهمه، ومنها ما جاء مفصلاً تفصيلاً بلاغياً، والغالب على مادة هذا البحث إلا ما ندر منه، أنى أقوم بذكر الشروح الميسرة، إلا في بعض المواضع القليلة؛ فقد أقوم بنقل ما جاء مفصلاً تفصيلاً مطولاً، وذلك حتى تعم الفائدة على الجميع سواء من هو على أول الدرب، أو من أهل التخصص.

رابعاً:

بعد ذكر ما ورد على لسان أهل العلم بشأن المتشابهات، أقوم في بعض الأحيان القليلة بذكر بعض ما يعنى لى حول هذه الآيات، وهى مجرد لمح ومناورات وضعتها لنفسى أولاً لضبط الحفظ وتيسيره، وهى ليست بتأويل لكلام الله، وقد قمت بعرضها على أهل العلم لضبطها، ثم رأيت إضافتها لهذا البحث عسى أن يُنْتَفَعَ بها، فما وجده القارئ من هذه المسائل مخالفاً للقرآن والسنة وإجماع علماء الأمة فليطرحه - وقد قمت بوضع ما أذكره من مسائل تحت بند (قلت):

خامساً:

رأيت أن أقوم بتقسيم هذا البحث إلى مبحثين حيث يتناول **المبحث الأول:** بعض المسائل والفرائد التي يندر ذكرها في كتاب الله وأيضاً بعض اللطائف البلاغية والتوجيهات الإيمانية في بعض الآيات، وقد أتطرق قليلاً إلى مسائل في التجويد أو النحو ندر أن تُذكر في الكتب وذلك كنوع من التشويق والإثارة لما في هذا الكتاب الكريم من أوجه إعجاز لا تنفد ويعجز عن وصفها البيان، لذا سوف أحاول بهذه الأنامل الضعيفة والأفكار البسيطة أن أطوف حول هذا القرآن المجيد راجياً من الفتاح القدير سبحانه وتعالى أن يفتح لنا فتوح العارفين.

أما **المبحث الثاني:** الذي هو صلب هذا البحث ومادته الأساسية، فقد تناولت فيه ما تيسر من سور القرآن منفصلة حيث أقوم بذكر ما وفقني الله في تحصيله وجمعه من مسائل في بعض آيات السورة، ثم يلي ذلك ذكر ما تشابه من آيات هذه السورة مع سائر سور القرآن الكريم.

سادساً:

في معرض الحديث عن الآيات المتشابهات قد تعرض مسألة في التجويد أو قواعد النحو في ذات الآية، فأقوم بذكر هذه المسألة كنوع من الترويح على القارئ، وقلماء يتكرر هذا في البحث.

سابعاً:

قمت بتخريج الأحاديث النبوية، كما قمت بتحقيق ما ذكرته من أقوال الأئمة المفسرين، مع ذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة.

ثامناً:

قمت بالتقديم بالترجمة للأئمة وللعلماء الذين استعنت بكتبهم في إعداد البحث.

تاسعاً:

قمت بتقديم نسخة من البحث إلى فضيلة الشيخ / محمد جبريل للتفضل بتقييم البحث وضبطه، وذلك لكون فضيلته من أهل التخصص والأداء العالي في القرآن؛ فإذا به يقول لي كلمة لا أنساها ما حييت قال: (لكل فن أهله، وأفاد بأنه سيكلف أحد أهل التخصص بعملية المراجعة والضبط؛ حيث عهد بالبحث للشيخ عيد حسن، الذي قام بأمر الضبط والمراجعته بشكل عام حيث أرشدني إلى بعض التعديلات الهامة في ضبط البحث، وقد استغرق ذلك زمناً، وقد ذكرني هذا بقصة الإمام المزي مع شيخه الإمام الشافعي حين عرض عليه رسالته ثمانين مرة وفي كل مرة يرده الإمام رحمه الله بملاحظات، وذلك حتى لا يصح إلا كتاب الله سبحانه.

المبحث الأول

بعض المسائل والفرائد التي جاءت على سبيل الحصر في كتاب الله، وبعض اللطائف

البلاغية والتوجيهات الإيمانية وبعض أسرار الرسم العثماني في بعض الآيات ^(١):

ذكر **على بن نايف الشحود** في كتابه (الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم)

بعض المسائل نذكر بعضها (بند ١ حتى ٥):

١- الْمِيعَاد - الْمِيعَدِ:

وردت كلمة (الْمِيعَاد) وذلك بألف صريحة في وسط الكلمة خمس مرات في القرآن

الكريم كله... وكلها تتكلم عن الميعاد الذي وعده الله.. لذلك جاء هذا الميعاد واضحاً وصريحاً ولا ريب فيه..

ونذكر فيما يلي الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة (الْمِيعَاد):

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران - ﴿٦٠﴾

(١) من أراد الزيادة في علم الرسم فليرجع إلى: كتاب: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم

لعلى بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة، هذا الكتاب قد جمع المصنف فيه ما تناثر من الإعجاز اللغوي والبياني مما كتب على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) وقد بلغت حوالى مائة وأربعين بحثاً لعلماء أجلاء معاصرين، فجزاهم الله خير الجزاء على هذه الأبحاث، إسهاماً منهم في توضيح فكرة الإعجاز اللغوي والبياني في وقت أصبح فيه كثير من العرب - قبل العجم -

لا يدركون معناها بسبب بعدهم عن جوهر دينهم ولغتهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَخْلَفُ الْمِيعَادَ﴾ آل عمران - ﴿٣٤﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ الرعد - ﴿١٣﴾

﴿لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ سبأ - ﴿٢٠﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا تَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ الزمر - ﴿١٢٠﴾

غير أن هذه الكلمة وردت مرة واحدة فقط وذلك برسم يختلف بدون ألف صريحة على

شكل (الْمِيعَادِ) وذلك حين نُسب هذا الميعاد إلى البشر حيث قال تعالى: ﴿..وَلَوْ

تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ..﴾ الأنفال - ﴿٢٤﴾ (١)

٢- حِيَّة/ثعبان:

إن كلمة (حِيَّة) لم تُذكر في القرآن إلا مرة واحدة عندما أمر الله موسى أن يلقي العصا وهو في الوادي المقدس، فتحولت إلى حية تسعى، وجاءت هذه الكلمة مناسبة للموقف، أما كلمة (ثعبان) فقد تكررت في القرآن كله مرتين فقط، وفي كلتا المرتين كان الحديث عندما ألقى موسى عصاه أمام فرعون، وكانت هذه الكلمة هي المناسبة في هذا الموقف؛ لأن الثعبان أكبر من الحية وأكثر إخافة لفرعون.

ونستطيع أن نستنتج أن الله تعالى - دقيق جداً...؟! - في كلماته وأن الكلمة القرآنية تأتي في مكانها المناسب، ولا يمكن إبدال كلمة مكان أخرى؛ لأن ذلك سيخل

(١) هذه الناطرة قد أوردها المؤلف في كتابه وعزاها إلى (المهندس محمد شملول) مهندس مدني

بالجانب البلاغي والبياني للقرآن الكريم الذي قال الله عنه:

﴿...وَأَنَّهُ لِكَتَبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ

تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت- ﴿٤٢﴾^(١)

قلت:

قول مصنف الكتاب: (الله تعالى دقيق جداً في كلماته): هذا التعبير لا يستقيم مع العقيدة، لأننا لا نصف الله سبحانه إلا بما وصف به نفسه فنقول: (إن كلام الله معجز وغالب غير مغلوب) ١.هـ.

٣- مسألة في كلمة (يَعْبَادِيَّ):

جاء في القرآن في موضعين لا ثالث لهما قوله سبحانه: (يَعْبَادِيَّ) - بإثبات الياء - والألف الخنجرية.

الأولى: ﴿يَعْبَادِيَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾

العنكبوت- ﴿٥٦﴾

الثانية: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَّ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ

عَ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر- ﴿٥٣﴾

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم علي بن نايف الشحود (ج ١/ ١٨٨) وعذاها الي

(عبد الدائم الكحيل).

ومن المعلوم في اللغة أن **الزيادة في مبنى الكلمة تدل على زيادة في معناها**: لذلك قد تكون في الأولى زيادة في الأنس والمودة؛ لأن النداء على المؤمنين، أضيف إلى ذلك ختام الآية بقوله: **(فَاعْبُدُونِ)**، للتأكيد على أن شرط المهجر الأمان على الدين والعبادة، وقد تكون في الثانية فيها نوع من الزيادة في الترغيب في التوبة والأنس؛ لأن النداء على من أسرف على نفسه، والله أعلم.

إذا تتبعنا الرسم العثماني لكلمة **(يَعْبَادِي)** ستلاحظ أن **(يَعْبَادِي)** جاءت مرسومة بالألف الخنجرية (أى الألف الصغيرة خلاف الألف الصريحة أو الفارقة)، وهذا زيادة في خطاب الود والقرب بين الله وعنده فجاءت كلمة واحدة متصلة خلاف قوله: **(عبادي)** في سائر القرآن بالألف الفارقة التي قسمت الكلمة إلى جزئين، والله مراد في هذا لا يعلمه إلا هو سبحانه، وهذه مجرد حواطر.

٤- لطيفة في كلمتي (قُلْ / أَقْرَأْ):

إن الله سبحانه قد خاطب نبيه في كثير من مواضع القرآن بقوله: **(قل)**، إلا إنه سبحانه في أول كلمة نزلت على الرسول (ﷺ) لم يقل له: **قل** ولكن خاطبه بقوله: **(أَقْرَأْ)**، فما الحكمة من ذلك..؟

ذكر العلامة **ابن المبارك** نقلاً عن العارف بالله شيخه **عبد العزيز الدباغ**؛ إذ يقول في كتابه (الإبريز) ما نصه: (رسم القرآن سرٌّ من أسرار الله المشاهدة وكمال الرفعة وهو صادرٌ من النَّبِيِّ ﷺ)، وهو الذي أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة،

فما نقصوا ولا زادوا على ما سمعوه من النَّبِيِّ (ﷺ)، وما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النَّبِيِّ صلوات الله وسلامه عليه، **قلت والله أعلم:** هو توقيفي من لدن منزل الكتاب - سبحانه - وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على هذه الهيئة المعروفة بزيادة الألف ونقصائها لأسرار لا تقتدى إليها العقول، وهو سر من الأسرار خصَّ الله تعالى به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، وكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز، وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس، لأنها أسرار باطنية لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمرتلة الألفاظ والحروف المقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتمون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشيرَ إليها، فكَذلك أمرُ الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف.

قال الإمام **الرازي:** (إن كل حرف وكل كلمة وكل حركة في القرآن الكريم لها فائدة) (١).

وقال الإمام **أحمد بن حنبل** رحمه الله: (تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف، أو غير ذلك) (٢).

وإنه لما يطمئن له القلب ويرتاح له الفكر أن الرسول (ﷺ) أملى كتابه الرسم القرآني حسب الرسم المنزل عليه والذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام، ومما يؤيد ذلك أن أول كلمة قرآنية نزلت على الرسول (ﷺ) كانت (**اقْرَأْ**)، وهي تعني اقرأ القرآن من الكتاب، حتى إنَّ الرسول الأكرم ردَّ على جبريل عليه السلام قائلاً: (ما أنا

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود، (ج ١/ص ٤).

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود، (ج ١/ص ٤).

بقارئ)، ولو كان قرأنا فقط لكانت أول كلمة هي: قل.

٥- لطيفة في كلمتي (بِسْمِ - بِأَسْمِ):

وردت كلمة (بِسْمِ) ثلاث مرات في القرآن (بخلاف فواصل السور):

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة - ﴿١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ جَبْرُهَا وَمُرْسَنَهَا﴾ هود - ﴿١١﴾

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل - ﴿٢٠﴾

كما وردت كلمة (بِأَسْمِ) أربع مرات في القرآن:

الموضع الأول ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة - ﴿٧٤﴾

الموضع الثاني ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الواقعة - ﴿١٦﴾

الموضع الثالث ﴿فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الحاقة - ﴿٥٧﴾

الموضع الرابع ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق - ﴿١﴾

ما الحكمة من ذكر كلمة (بِسْمِ) في الحالات الأولى بدون ألف، في حين وردت في الحالات الأخرى كلمة (باسم) كاملة بدون قصر....؟

إن حذف الألف من كلمة (بِسْمِ) والتي جاء بعدها لفظ الجلالة (الله) يدل ويوحى بأنه يجب علينا الوصول إلى الله سبحانه وتعالى (؟) ^(١) بأقصر الطرق وأسرع الوسائل وهو ما

(١) قمت بحذف هذا المقطع من كلام المؤلف لعدم وضوحه (وعمل الصلاة معه).

يدل عليه «أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ» [الفاتحة: ٦]، وهو الذي يوصل بأسرع وأقصر الطرق... والحرف الوحيد الذي يمكن حذفه من كلمة (باسم) دون تغيير نطق الكلمة هو حرف الألف.. لذا فقد تم حذفه للتوجه إلى الله - وأخذ البركة منه؟! (١) - في أى عمل نعمله بأسرع ما يمكن وبأقصر طريق... ولفظ الجلالة (الله) هو العلم على الذات الإلهية ولا يشاركه فيه أحد.. أما في الحالات الأخرى والتي ورد فيها (باسم) فإنها كلمة بين الله سبحانه وتعالى وخلقه - قلت أي مشتركة بين العبد والخالق فقد يستخدم لفظ الرب مع رب البيت؛ فقد جاء في الآية (٤٢) من سورة يوسف قوله للساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يوسف- ﴿٤٢﴾ ١٠٠هـ.

٦- لطيفة في كلمة (دياركم/ داركم):

جاءت كلمة (دياركم) في القرآن بالجمع وجاءت بالإنفراد (داركم): قال فيها فضيلة الإمام الشعراوي وغيره إن انتشار الصوت في الفراغ يكون أشد، لذلك إذا وجدت كلمة (الصيحة) في القرآن فاعلم أنه لا بد أن يأتي معها كلمة (دياركم) بالجمع، فالصيحة من السماء وانتشار الصوت في الفراغ أعم، أما إذا وجدت الرجفة فأعلم أن معها (داركم) بالإنفراد لأنها في الأرض، فالانتشار أقل، والله أعلم.

٧- لطيفة في كلمة (يس / طه)

من اللطائف أيضاً التي قالها القرطبي ويمكن أن تستدل بها على بطلان من قال إن (يس/طه) من أسماء النبي (ﷺ) أن هذه الحروف المقطعة حروف مبنى وليست حروف معني، أى أننا ننطقها في حال الوصل ساكنة وغير منونة، ليتضح لك ذلك اقرأ وصلأ

(١) قلت: لا أعلم ما هو مراد المؤلف من هذه الجملة، وهل تنضبط شرعاً أم بها شيء من الصوفية.

(٢) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، لعلي بن نايف الشحود (ج ١/ص ٥).

قوله تعالى: ﴿يَسَّ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾.

ستجد أن كلمة (يس) ، لم ترد رواية قرآنية بتحريك السين بالضممة، ولكن عند حفص وحزمة وابن كثير وأبي عمرو وقالون جاءت بالإظهار (يس والقرآن /ن والقلم)، وأما في بعض الروايات القرآنية الأخرى فجاءت بالإدغام، فلو كانت (يس) اسم لتحركت بالضم مثل (يوسف)، والله أعلم.

قال الشاطبي رحمه الله: وَيَسَ أَظْهَرَ عَنْ فَتَى حَقِّهِ بَدَأَ وَنَ وَفِيهِ الْخِلْفُ عَنْ وَرَثَتِهِمْ خَلَاً.

٨- لطيفة حول قوله: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾

قيل والله أعلم: وردت ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ في أهل الجنة ثماني مرات في القرآن الكريم ووردت في أهل النار ثلاث مرات؛ وهذا من رحمته سبحانه وتعالى؛ لأن رحمته سبقت غضبه، والخلود عند العرب تعني المكث الطويل وليس بالضرورة المكث الأبدي^(١).

٩- لطيفة:

من المواضع التي لم تتكرر في القرآن إلا في موضعين (الرعد/الزمر) ويصعب الإتيان بها إلا من الماهر في الحفظ قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

الرعد - ﴿١١﴾

(١) لمسات بيانية، للدكتور فاضل السامرائي، (ج ١/ص ٤٣١).

وفي الموضع الثاني: ﴿**اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ الزمر -



فموضع الزمر **معروف**، أما موضع **الرعد** فلوجود قبله كلمة (**قُلْ**) يصعب الإتيان بها لأن ألف لفظ الجلالة لا يُنطق به حال الوصل وتسقط في هذا الموضع، (أى إنها تسقط وصلاً)، والأذنُ معتادة السماع واللسان أيضاً على نطقه (**اللَّهُ خَلِيقُ**) بتحريك الألف بالفتح حال الابتداء، فهذه من اللطائف خاصة في اختبار الحفاظ فاذكرها^(١).

١٠ - لطيفة حول سورة التكوين:-

ذكر الله في صدر السورة اثنتي عشرة علامة ست منها في الدنيا وست، في الآخرة فهذه علامة وفائدة للحفاظ فاعلمها^(٢).

١١ - لمحات مع اسم الله العليم واسم الله الحكيم^(٣):

إن لكل اسم من أسماء الله الحسنى عبودية خاصة بهذا الاسم، الأمر الثاني أن الله إذا قرن اسمين من أسمائه الحسنى فهذا التركيب له عبودية أخرى^(٤).

(١) ذكرها الشيخ صلاح صالح، حلقة القرآن بمسجد الخلفاء الراشدين، السادس من أكتوبر.

(٢) أيسر التفاسير بتصرف، (ج ٢/ص ١٧٣١).

(٣) من كلام فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب في الدرس المتمم للمائة - المتربون الجدد، المدرسة الربانية، بتاريخ الأربعاء ٢٨/٣/٢٠١٣، وإضافات من كتاب فقه الأسماء الحسنى للشيخ عبد الرزاق البدر، بتصرف.

(٤) فقه الأسماء الحسنى، للدكتور عبد الرزاق البدر، (ص ٥٠) بتصرف.

تجد في القرآن اسم الله العليم والحكيم، وقد يتقدم اسم على الآخر في مواضع والعكس في مواضع أخرى، وبعمل إحصاء في فهرس كلمات القرآن تبين لي -والله أعلم- الآتي:

- ١-العليم الحكيم (٤ مرات).
- ٢-الحكيم العليم (مرتان لا ثالث لهما).
- ٣-حكيم عليم (٥ مرات).
- ٤-عليم حكيم (١٥ مرة).
- ٥-عليماً حكيماً (١٠ مرات).

٦- **عندما تتبعت كلمة (حكيماً عليمًا) في القرآن تبين لي -والله أعلم- أنها لم تذكر في كتاب الله.**

ذكر فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب فائدة في تقدم وتأخر الاسمين (عليم وحكيم) تفيد أن الله حكيم في علمه وعليم في حكمته.

قلت والله أعلم:

فقد تجد في البشر صاحب علم غزير ولكنه يفقد الحكمة في استخدام هذا العلم. وقد تجد صاحب حكمة بالفطرة (ذكاء طبيعي فطري) ولكنه لم يصقله بالعلم.

١٢- تكرر في القرآن الفعلان (جاء وأتى) فإذا تتبعتهما سوف تجد والله أعلم أن جاء يكون أقوى في التعبير أو مع الأمور التي لها وقع قوى (إذا جاءت الطامة/ إذا جاءت الصاخة/ وجاء ربك والملك....)

أما (أتى) فتكون مع الأمر اليسير.

فإذا سأل سائل عن قوله:

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النحل - ﴿١﴾

فالأمر هنا منسوب إلى الله سبحانه، وهذا يكفى، ويتضح ذلك أيضاً مع قوله:

﴿قَالُوا بَلْ جَعَلْنَاكَ بَمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ﴾ الحجر - ﴿٦﴾

١٣- في لغة العرب: يجوز حذف المضاف إليه للعلم به مثل قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ

الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ القصص -

﴿٤٤﴾، أى جانب الطور الغربى.

وأيضاً من قواعد البلاغة في اللغة أن يُحذف الموصوف وتأتى صفته مثل كلام العرب: (استل الصارم) أى السيف الصارم.

١٤- السر في رقم أربعين:

قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ فَلَا

تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة - ﴿٦٠﴾

إذا تأملت هذه الآية وإلى جوارها قوله: ﴿...حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً...﴾

﴿الأحقاف - ﴿١٦﴾﴾

فما الحكمة من أن الله كتب عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة...؟

قيل والله أعلم:

حتى يكون آخر رجل في العهد القديم - الذين عصوا موسى فأدخلهم الله التيه- يكون هذا الجيل قد مات في التيه وولد جيل جديد تربى لمدة أربعين عاماً وهو السن الذي قال فيه الله ﴿...حَتَّى

إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً..﴾ (الأحقاف - ﴿٥٦﴾) يكون هذا الجيل قد تربى تربية إيمانية ربانية على يد يوشع غلام نبي الله موسى تربية تهيؤهم لدخول الأرض المقدسة.

١٥- قوله: ﴿...سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ التوبة - ﴿٢٠﴾، الوحيدة في القرآن بهذا السياق غير مقرونة بقوله: (وتعالى) أو (سبحان الله).

جوابه:

انظر البند (١٣) سورة التوبة.

١٦- إذا سألت أحداً: هل الجهاد بالمال أشد أم الجهاد بالنفس...؟
كل الناس تقريباً سيقولون: الجهاد بالنفس أصعب وأشق.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ التوبة - ﴿٢٠﴾.

إذا تتبعنا الجهاد بالمال والنفس في القرآن ستجد أنه قد ذكر تسع مرات، خمس مرات في التوبة وأيضاً في النساء والأنفال والحجرات والصف.

في كل هذه المواضع تقدم المال على الجهاد، إلا في موضع واحد في القرآن هو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ

أَشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ (التوبة -
 ﴿١١٣﴾ . فالله لا يعنيه النفس ولا المال^(١) .

١٧- ورد في القرآن لفظ: (يعملون/يفعلون/يصنعون)، فحتى لا يحدث لك إشكال في ذلك،
 فاعلم أن كل ما جاء في سورة يوسف هو (يعملون) ولم يرد فيها يفعلون أو يصنعون.

١٨- ذكر اسم الله (الْحَيُّ الْقَيُّومُ) -الذي وردت بعض الأحاديث- بأنه الاسم الأعظم
 للملك سبحانه، ورد في القرآن في ثلاثة مواضع هي: (البقرة/ آل عمران/ طه) .

١٩- في سورة النور لفت نظر شديد لأهمية اتباع الرسول وطاعته (ﷺ) في آيات متصلة؛ وذلك
 في قوله:

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنْ بَعْدِ
 ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ
 بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ
 ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ تَخَافُونَ أَنْ تَحْجِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ
 ٢٠ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى
 اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) د. راغب السرجاني، (محاضرة الجهاد بالمال).

الْفَآيُزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا
 تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ
 وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن
 كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا
 الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ النور

وقد جاء ذلك على نمط لم يتكرر في أى موضع من القرآن، فتأمله، والله أعلم.

٢٠- من المواضع التى هى على سبيل الحصر في القرآن وجاءت في سورة القصص:

(ثُمَّ هُوَ): لم تأت في القرآن إلا في هذا الموضع في القصص في قوله:

﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعَدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ القصص- ﴿٦١﴾.

وكما عند النحاة فإن (هو) قد يأتي (ضمير فصل) ليوضح أن ما بعده خبر وليس صفة، ولكنه في هذا الموضع مبتدأ.

٢١- لطيفة في الإعراب في سورة العنكبوت:

قوله: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ العنكبوت - ﴿٢٠﴾

كلمة (مَّوَدَّةَ) لماذا لم تنون بالنصب بل تحركت بالفتح....؟ وذلك في بعض الروايات.

قلت والله أعلم:

(مودة) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (مضاف) ومعلوم أن المضاف لا ينون لأنه مُعرف ومن العلامات الخمس التي تميز الاسم كما قال ابن مالك: التنوين، وهو يلحق النكرات، فكيف يجتمع متضادان (علامة تعريف وتنكير) على معمول واحد؟ لذلك تحركت بالفتح، علماً بأنها وردت في روايات قرآنية أخرى بغير الفتح.

٢٢- بعض الفوائد في سورة العنكبوت:

قوله: ﴿فَصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ العنكبوت - ﴿٢٨﴾
وفي الآية التي تليها قوله: ﴿وَقُرُونٌ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَ﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٢٩﴾

العنكبوت - ﴿٢٨﴾

ما الحكمة من ذكر قارون قبل فرعون وهامان ولم يتكرر ذلك في القرآن؟

الإجابة والله أعلم:

ذكر **القرطبي** أن قارون كان ممن يقرءون التوراة وعلى علم بها لذلك كان مستبصراً فجاء بكلمة

مستبصرين وقال بعدها: **(وَقَرُّوْا...)** ^(١)

٢٣- هل هناك فرق بين الذين عملوا الصالحات، وعباد الله الصالحين...؟

ذكر ابن القيم أن ثمة فرق بينهما، وتجد ذلك في قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت - 

اللهم أدخلنا وأهلينا برحمتك في عبادك الصالحين.

٢٤- لطيفة في الوقف والابتداء

قوله: **﴿..فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** الروم

- 

(كان أبو بكر رضى الله عنه يقف على كلمة **(حَقًّا)** ثم يستأنف فيقول: (عَلَيْنَا: نَصْرُ

الْمُؤْمِنِينَ) ^(٢)

٢٥- الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي

كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (السجدة - )

(١) أحكام القرآن للقرطبي، (ج ١٣/ص ٣١٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١٤/ص ٤٣).

في هذا الموضع الاسم الموصول (**الَّذِي**) عائد على العذاب، أما في الموضع الأخرى **﴿عَذَابَ النَّارِ الَّتِي﴾** الضمير عائد على النار، أجازنا الله منها.

قلت والله أعلم:

إذا تتبعنا سياق الآيات نجد أن مادة الفعل (**ذاق**) ورد في السورة ببعض تصريفاته **أربع مرات:** (فذوقوا بما نسيتم/ وذوقوا عذاب الخلد/ ذوقوا عذاب النار/ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى..). فناسبه والله أعلم أن يعود الاسم الموصول على العذاب.

٢٦- مسألتان حول قوله سبحانه **﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾**:

المسألة الأولى: ورد هذا النداء في القرآن (٩٠ مرة) دائماً يكون أول الآية ولم يأت في وسط آية إلا مرة واحدة في القرآن في موضع الأحزاب وهو قوله سبحانه:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ الأحزاب - ﴿٥١﴾

قلت:

قد يكون -والله أعلم- أن الله سبحانه وتعالى قَبَّلَ ندائه على المؤمنين بقوله:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ذكر سبحانه

وتعالى شأنه أنه يصلي على النبي وأيضاً الملائكة تصلي على النبي.

* - سورة واحدة في القرآن افتتح الله أولها بهذا النداء وختم السورة بالنداء ولم يأت هذا إلا في سورة الممتحنة.

٢٧- ذكر الله العزة ببعض بمشتقاتها خمس مرات في سورة (ص)، وجاء في قوله سبحانه حكاية عن إبليس:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص - ﴿٤٧﴾)، ولم تتكرر بهذا السياق في سائر القرآن فهذه علامة فلا تنسها.

٢٨- ملحوظة في التجويد:

قوله: «..تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى^ج ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ»

الحشر- ﴿٤٠﴾

انتبه إلى أن (شَتَّى^ج) غير منونة إنما تنتهي بالألف المقصورة، فاحذر حال وصلها أن تنونها، وكثيراً ما يخطئ فيها من لا ينتبه إليها.

٢٩- الآية (١٩) من سورة المجادلة، هي الموضع الوحيد في القرآن الذي ذكر فيه كلمة الشيطان في آية واحدة ثلاث مرات وهي قوله سبحانه:

﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَلَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ^ج أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ^ج

أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ المجادلة - ﴿١٩﴾

٣٠- الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ المنافقون - ﴿١١﴾

وفي غيره والله لا يهدي القوم الفاسقين.

قلت والله أعلم:

لاحظ أن هذا السياق جاء على سبيل الحصر في هذا الموضوع فقط، وأداة التوكيد أيضاً جاءت مناسبة لاسم السورة ووصف حال المنافقين وبيان وتأكيد فسقهم.

٣١- ثلاثة مواضع في القرآن أمر فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن يقسم بالله (سورة يونس /سورة سبأ/سورة التغابن):

﴿وَيَسْتَنْبِغُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقُّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ يونس

- ﴿٥٣﴾

﴿... قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ...﴾ سبأ - ﴿٢﴾

﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ التغابن

٣٢- قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

التحریم - ﴿٧﴾

لم ترد في القرآن إلا في هذا الموضوع.

قلت والله أعلم:

سمعت من بعض أهل العلم أن النداء من الله سبحانه وتعالى على الكفار قد تكرر في القرآن كثيراً والله أعلم (٨٣ مرة) كلها في الدنيا ، أما في الآخرة فلم ينادى الله عليهم إلا في هذه المرة وتأمل كيف توسط هذا النداء ندائين -قبله وبعده- على المؤمنين، وذلك لزيادة الحسرة والتنكيل بهم (١).

٣٣- قوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ الأعلى - (٧) ، معلوم أن الإعجاز في علم الله

بالسر وعلم ما يخفى، ولكن ما الإعجاز في علم الجهر:

تكلم فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله في هذا فذكر مثلاً بمظاهرة في حشد من الناس بالآلاف وكل واحد يتكلم بكلمة، فهل يستطيع أحد أن يرجع كل صوت إلى صاحبه وينسب كل كلمة إلى قائلها؟ لا يستطيع ذلك إلا الملك سبحانه، وهذا هو وجه الإعجاز (٢).

٣٤- لقد أقسم الله أحد عشر قسمًا متتاليًا ما أتت إلا في موضع واحد في كتابه الكريم؛ أن فلاح النفوس بتزكيتها، قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾﴾

وهي ركن ركين في دعوة نبينا (ﷺ)، بل هي ربع الرسالة الحمديّة (٣).
أيضاً قال سبحانه عن التزكية:

(١) قال محمد بن أحمد الشربيني صاحب تفسير السراج المنير أن هذا النداء في سورة التحريم إنما يقال لهم يوم القيامة، ثم لا يكون رسولاً إليهم فأزال

الواسطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضي (ج ٤/ص ٤٣٨)

(٢) حواطر الشعراوي، (ج ١٨/ص ١٠٩٦).

(٣) كتاب حلية طالب القرآن (ص ٨).

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٥١﴾ البقرة

انظر البند الأول في سورة البقرة.

٣٥- لطائف مرتبطة بسورة العلق:

إن ركعات الصلاة تبدأ كل ركعة بالقراءة ثم تنتهي بالسجود، وما أشبه هذا بأول ما نزل في القرآن في سورة العلق، فبدأت بالقراءة فقال: (اقرأ) وانتهت بالسجدة^(١).

٣٦- كثيراً ما نستعمل عبارة (شيع إلى مثواه الأخير) وهذا خطأ لأن المثوى الأخير هو دار القرار

إما جنة وإما نار، وأنت حين تذهب في زيارة تمكث قليلاً ثم تقوم لذلك قال الله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ

الْمَقَابِرِ﴾ التكاثر ﴿١﴾ -

٣٧- سر هذا الترتيب لسور الهمزة/الفيل/قريش:

في آخر سورة الهمزة ذكر الله وصف النار، وهذا من الأمور الغيبية فأعقبها بأمر مادي تعلمه قريش وشاهدته وهو حادث الفيل، وهذا يكثر في القرآن أن يأتي بالأمر المشاهد ليستدل به على غير

المشاهد، ثم جاء بعد سورة الفيل بسورة قريش، إن حرف اللام في قوله: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾

هذه لام العاقبة كما يسميها النحويون فقد حفظ الله البيت لتظل المهابة لقبيلة قريش وملكة؛ لأن مكة ستكون مبعث النبي ﷺ، أو أن الله حفظ لهم مهابتهم وتجارتهم فذلك يقتضى منهم عرفاناً بالجميل

﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ

(١) سليمان الخراز مقدم حلقات (كيف تتلذذ بالصلاة).

(٢) هذه النظرة لها شاهد قريب من المعنى من كلام فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله في كتابه، تفسير جزء عم، (ص ٥٠٨).

خَوْفٌ ﴿قريش - ﴿١﴾﴾

٣٨- قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ

وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾ الشورى - ﴿٧﴾

من المعلوم أن المنطقة التي تتوسط رأس الإنسان يطلق عليها: (أم رأسه) لأنها تقع في مركز يتوسط الرأس.

وقد اكتشف علماء الجغرافيا أن مكة المكرمة تقع في مركز يتوسط الكرة الأرضية، وذلك نسبة إلى المحور الوهمي لدوران الأرض، فهذا من الإعجاز العلمي للقرآن الذي لا تنتهي عجائبه. ويذكر أن كلمة (أم) جاءت في القرآن مضافة إلى ثلاثة أشياء (أم الكتاب / أم موسى / أم القرى).

٣٩- قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ / ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٢﴾

فيه مسألتان: المسألة الأولى: ما الفرق بين يفصل ويقضى؟

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١٠﴾ - السجدة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿١١﴾ - الجاثية.

لو قرأنا الآيتين تتضح الإجابة وذلك في قوله:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ

هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ

(١) تفسير جزء عم لفضيلة الإمام الشعراوي - بتصرف - (ص ٥٨٤).

(٢) د/فاضل السامرائي، لمسات بيانية، (ج ١/ص ٢٦).

وَكَاُنُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ - السجدة.

يقول المفسرون: يفصل بين الأنبياء وأممهم؛ لأن السياق بين المؤمنين والكافرين؛ وذلك في سورة السجدة في قوله:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ﴾ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ تَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۚ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ - السجدة - ﴿٢٥﴾

صاروا أمتين جماعة بنى إسرائيل نبيهم موسى آتيناه الكتاب وأنت أيضاً يا محمد
آتيناك الكتاب فصاروا ملتين مختلفتين

آية الجاثية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيْنَتٍ مِّنَ الْأَمْرِ^ط فَمَا
أَخْتَلَفُوا إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ^ع إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾ - الجاثية.

الاختلاف بين بني إسرائيل في ملة واحدة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾،
أما في آية السجدة **الاختلاف بين أُمم مختلفة**، أو على الأقل بين أمة الإسلام وبني إسرائيل أما آية
الجاثية فالفصل بين ملة واحدة مختلفة فيما بينها.

المسألة الثانية: ما دلالة ضمير الفصل (هو) في آية السجدة؟

أيُّهما يدعو إلى الاختلاف أكثر والتوكيد، بين مِلَّة واحدة أو ملل مختلفة؟
الإجابة: إن التباين بين الملل المختلفة أكثر من التباين بين أصحاب الملة الواحدة.
فلما كان بين ملل مختلفة قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أكد بضمير الفصل.
ولما كان بين ملة واحدة قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ ولم يأت بـ (هو).

٤٠ - مسألة بشأن الأسرى:

قال صاحب كتاب **التفسير الحديث**^(١):

وإذا لوحظ أن عادة استرقاق أسرى الحرب التي كانت عامة في جميع الأمم والبلاد كانت المصدر
الرئيسي لعادة الاسترقاق الإنساني التي ظلت جارية في كثير من البلاد الإسلامية مدة طويلة إلى عهد

(١) التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (ج ٨/ص ٣٠٨).

قريب، حتى أن كلمة (الأسير) جاءت في آية قرآنية مرادفة للمملوك، وذلك في قوله:

﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ الإنسان - ﴿٨﴾

ثم إذا لوحظ أن آية سورة محمد: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ

إِذَا أَكْنُتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ

أَوَّارَهَا...﴾ محمد - ﴿١٠﴾ هي التي احتوت تشريعاً مطلقاً فيما ينبغي عمله في الأسرى وأن هذا

التشريع هو المنّ أو الفداء، ظهرت لنا عندئذ روعة هذا التشريع بتوجيهه ضربة حاسمة إلى هذه العادة. اهـ.

قلت والله أعلم:

لقد ذكر الله سبحانه في كلمات ما يتحدث عنه الغرب بشأن حقوق الأسرى والإنسانية والرحمة والاتفاقيات المبرمة بين الدول التي تنظم حقوق الأسرى، جاء ذلك موجزاً في كلمات يعجز عن وصفها البيان.

٤١ - مسألة بشأن قوله:

﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِذْ هُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ النمل - ﴿١٢﴾

وقوله: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ إِنَّهُمْ

كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ القصص - ﴿٢٢﴾

في النمل قال^(١): ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾

(١) د/فاضل السامرائي، لمسات بيانية، (ج ١/ص ٧٨).

في القصص قال: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾

إذن، في النمل أعطاه تسع آيات وفي القصص آيتين، لما كان المقام مقام ثقة وقوة وسَّع الأمر، أما في القصص فقد ذكر اليد والعصا، إذن نلاحظ في مقام الثقة والقوة وثقل التكليف وسَّع الآيات وجعلها تسع آيات وجعلها إلى فرعون وقومه: ﴿فِي تِسْعٍ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾.

ولكن لما كان المقام مقام خوف ضيق المهمة ﴿فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ﴾. لفظ (ذلك) يكون المشار إليه مفرد والمخاطب مفرد في الغالب، ولفظ (ذانك) يكون المشار إليه اثنين والمخاطب واحداً.

في النمل قال: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾، وفي القصص قال: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، المهمة أوسع فتبليغ القوم أوسع، بلَّغ كل القوم، أما الملأ فهم خاصة الملك وهي الحاشية، فلما كان المقام ثقة كلفه تبليغ الرسالة للعامة والخاصة، لكن كل واحدة تتناسب مع الحالة، بينما ذكر هنا (الملأ) وهناك (القوم)؛ لأن السياق غير السياق والمقام غير المقام، اتسعت الآيات فاتسع المبلَّغ، وليس في هذا تعارض بالمرّة مع الأمر لموسى أن يبلغ الرسالة، وهو مكلف بالملأ ومكلف بالقوم، لكن الله سبحانه يذكر ملمحاً خاصاً في كل سورة.

٤٢ - ما دلالة استخدام (ما) أو حذفها في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾ وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحْتِ أَبْوَابَهَا﴾؟^(١)

قال تعالى في سورة فصلت: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ

وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فصلت - ﴿٢٠﴾

(١) د/فاضل السامرائي، لمسات بيانية، (ج ١/ص ٥٤٩).

فهذا من غرائب الأمور أن يشهد السمع والبصر والجلود على الناس، ولذا اقتضى استخدام

(ما) للتوكيد، أما في سورة الزمر فقد جاءت الآية ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا

حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ

يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن

حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ سورة الزمر: ٩١، وهنا الأمر عادي إذا جاءوا

فُتحت الأبواب.

٤٣- إشارة بلاغية في القرآن إلى السفن وتطورها:

قوله سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ الشورى - ﴿٣٦﴾

أى: كالجبال، وكأن الحق سبحانه وتعالى يُعطينا الدليل على علمه تعالى بما سيصل إليه العالم من تقدم، وما ستصل إليه صناعة السفن من رقي يصل بها إلى أن تكون كالجبال، وإلا ففي زمن نزول القرآن لم يكن هناك بوارج عالية كهذه، إنما لم توجد إلا بعد قانون أرشميدس الذي تُبنى على أساسه هذه البوارج^(١).

وأيضاً قوله سبحانه: ﴿..وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمَلُون﴾ غافر- ﴿٨٠﴾، معلوم أننا نركب

في السفينة كما جاء في سورة هود: ﴿..قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا..﴾ هود- ﴿٦١﴾

ولم يقل: احمِل عليها، قيل: لأن الحق سبحانه يعطينا مراحل تطور السفينة، فسفينة نوح كانت سفينة بسيطة، فأراد الحق سبحانه أن يعلمنا أن صناعة السفن سوف تتطور، ويكون بها طوابق متعددة

(١) خواطر الشعراوي، (ج ١٤/ص ٨٦٧).

فتركب عليها^(١).

٤٤ - لقطات من الإعجاز العلمي في القرآن بشأن كلمة المعارج:

﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ

سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ الزخرف - ﴿٣١﴾

ذكر فضيلة الشيخ الشعراوي رحمه الله أنه سأل أثناء إحدى الزيارات إلى مدينة سان فرانسيسكو عن تاريخ ظهور المصاعد فأخبروه أن ذلك منذ قرابة خمسين عاماً، فرد عليهم: لقد أخبرنا الله عنها في القرآن منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان^(٢).

٤٥ - إشارة بلاغية في قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ الحشر - ﴿١٠﴾

أى: لزمو الدار ولزمو الايمان فلم يفارقهما. ويجوز أن يكون تبوأ الايمان على طريق المثل، كما تقول: تبوأ من بني فلان الصميم. والتبوء: التمكن والاستقرار^(٣).

قلت والله أعلم:

هذا فن من فنون اللغة والبلاغة، وكأنهم اتخذوا الإيمان دار لهم سكنوا واستقروا فيه.

(٢) خواطر الشعراوي (ج ٢١/ص ١٣٤٦٢)

(٢) خواطر الشعراوي، (ج ٢١/ص ١٣٤٦٣).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي، (ج ١٨/ص ٢٠).

٤٦ - لفنة بلاغية وإشارة إلى أن القرآن لا يخضع لقافية شعرية:

إن المتأمل في سورة الحجر سوف يجد أن آياتها تسع وتسعون، إحدى وثمانون آية تنتهى بالنون، فقد يسأل سائل عن قوله سبحانه: ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن

سَجِيلٍ﴾ الحجر - ﴿٧٥﴾

لماذا جاءت كلمة (مِّن سَجِيلٍ) والتي تنتهى بحرف اللام ولم تأت كلمة (حِجَارَةً مِّن طِينٍ) والتي تنتهى بحرف النون، كما في الذاريات حتى تنسجم مع غالب آيات السورة التي تنتهى بحرف النون.

قلت والله أعلم:

إن كلام الله غالب غير مغلوب ومعجز ولا يعجزه شيء، ولا يخضع لوزن شعرى أو قافية بلاغية، إنما هو كلام الله المتحدى بأقصر صورة لفصحاء العرب، فعجزوا أمامه، فالإجابة ﴿...سُبْحَانَكَ لَا

عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة - ﴿٢٥٥﴾).

وهذه علامة صعبة المستخرج فاعلمها.

٤٧ - مسألة بشأن السمع والبصر في القرآن وتقديم أحدهما على الآخر.

قال الإمام الشعراوى رحمه الله: (دائماً القرآن يُقدِّم السمع على البصر، ويتقدم البصر إلا في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] لأنها تصور مشهداً من مشاهد القيامة، وفيه يفاجأ الكفار بأهوال القيامة، ويأخذهم المنظر قبل أن يسمعوا الصوت حين ينادي المنادي^(١)).

(٢) خواطر الشعراوى، (ج ١٩/ص ١٨١).

٤٨- إشارة إلى الهندسة المدنية والعمارية في القرآن:

جاء ذكر البناء والهندسة المدنية في لفظة موجزة في كتاب الله، وذلك في قوله سبحانه:

﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ الزمر - ﴿٢٠﴾

قال الإمام الرازي رحمه الله: (فإن قيل: ما معنى قوله: (مَبْنِيَّةٌ)؟ قلنا: لأن المنزل إذا بُني على منزل

آخر تحته كان الفوقاني أضعف بناء من التحتاني، فقوله: (مَبْنِيَّةٌ) معناه: أنه وإن كان فوق غيره لكنه في القوة والشدة مساو للمنزل الأسفل والحاصل أن المنزل الفوقاني والتحتاني حصل في كل واحد منهما فضيلة ومنقصة، أما الفوقاني ففضيلته العلو والارتفاع ونقصانه الرخاوة والسخافة، وأما التحتاني فبالضد منه، أما منازل الجنة فإنها تكون مستجمعة لكل الفضائل، وهي عالية مرتفعة وتكون في غاية القوة والشدة، وقال حكماء الإسلام: هذه الغرف المبنية بعضها فوق البعض^(١).

٤٩- سورة النصر وبعض أسرار الاستغفار:

قوله سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ

اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

يقول ابن القيم: (وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفاراً عقيب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه، وأنه لولا الأمر لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده.)

(١) مفاتيح الغيب للرازي، (ج ٢٦/ص ٢٢٩).

وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقيب إفاضتهم من عرفات وهو أجل المواقف وأفضلها، فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَقَضْتُم مِّنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ ۖ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة - ﴿١٩٩﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل وفي الصحيح أن النبي كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثاً ثم قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام. وأمره الله تعالى بالاستغفار بعد أداء الرسالة والقيام بما عليه من أعبائها وقضاء فرض الحج واقتراب أجله. فقال في آخر سورة أنزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (١).

٥٠ - بعض ملامح الإعجاز العلمي في قوله: ﴿حَسْبَتْهُ لُجَّةٌ﴾ (النمل - ﴿٤٤﴾)

ورد في إذاعة القرآن الكريم ما يفيد بأن معامل الانكسار للزجاج على الجودة، شديد النقاء، يكون قريباً جداً من معامل الانكسار للماء (١،٥)، فكل من يشاهده يظنه ماء، وهذا ما ظنته ملكة سبأ.

(١) مدارج السالكين، (ج ١/ص ١٧٥).

٥١- لقد ورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ...﴾ في مواضع عديدة في القرآن

الكريم، منها: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان - ﴿٥١﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الذاريات - ﴿١٥﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ الطور - ﴿١٧﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ القمر - ﴿٥٤﴾.

وكثيراً ما يحدث خلط للحفاظ بين هذه المواضع، ونذكر منها موضعاً واحداً وهو موضع سورة

الدخان، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ الدخان - ﴿٥١﴾.

فإنك إذا تأملت في سورة الدخان ستجد ذكر قوم فرعون في وسط السورة، ثم يأتي في ختام السورة ذكر أهل الجنة، وفي سياق الحديث عن قوم فرعون ذكر الله سلب النعمة منهم، ثم صدر في المقدمة (الجنات والعيون والمقام الكريم) الذي تركه قوم فرعون، وإذا نظرت إلى وصف المتقين في أواخر السورة فستجد أيضاً أن الله سبحانه قد صدر الحديث (بالجنات والعيون والمقام الأمين)، وفرق بين المقام الكريم الذي هو في الدنيا، إلا أنه غير أمين، فإما أن تتركه وترحل عنه أو يزول هو عنك، وذلك خلاف المقام في الجنة حيث وصف بالأمين، وكأنه بشرى للمتقين وزجر للعاصين، فرح للمتقين الذين أورثوا الجنات والعيون والمقام، وذلك مصداقاً لقوله سبحانه في أواخر سورة الزخرف التي تلي هذه السورة مباشرة ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الزخرف

- ﴿٧٢﴾، وحسرة وندامة لقوم فرعون الذين تركوا هذه النعم، والله أعلم بمراده، وهذه مجرد علامة

على الطريق، فاعلمها فإنها صعبة المستخرج.

٥٢- صنوف من فنون اللغة والبلاغة تجمعها غملة في كلمات:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا﴾

مَسْكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ - النمل

لقد جمعت هذه النملة في قولها الكثير من أجناس الكلام؛ فقد جمعت أحد عشر جنساً: النداء، والكناية، والتنبيه، والتسمية، والأمر، والقصص، والتحذير، والتخصيص، والتعميم، والإشارة، والعذر.

فالنداء { يا } والكناية { أي } والتنبيه { ها } والتسمية { النمل } والأمر { ادخلوا } والقصص { مساكنكم } والتحذير { لا يحطمنكم } والتخصيص { سليمان } والتعميم { جنوده } والإشارة { هم } والعذر { لا يشعرون }.

فأدّت هذه النملة بذلك خمسة حقوق: حق الله تعالى، وحق رسوله، وحقها، وحق رعيتها، وحق الجنود.

فأما حق الله تعالى: فإنها استرعت على النمل، فقامت بحقهم. وأما حق سليمان - عليه السلام - فقد نبّهته على النمل. وأما حقها فهو إسقاطها حق الله تعالى عن الجنود في نصحهم. وأما حق الرعية فهو نصحها لهم؛ ليدخلوا مساكنهم. وأما حق الجنود فهو إعلامها إياهم. وجميع الخلق، أن من استرعاه الله تعالى رعية، وجب عليه حفظها، والذب عنها، وهو داخل في الخبر المشهور: "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته". هذا من جهة المعنى.

وأما من جهة المبنى (اللفظ) فإن كلمة { غملة } من الكلمات، التي يجوز فيها أن تكون مؤنثة، وأن تكون مذكرة؛ وإنما أنث لفظها للفرق بين الواحد، والجمع من هذا الجنس. ألا ترى إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تضحّي بعوراء، ولا عجفاء، ولا عمياء"، كيف أخرج هذه الصفات على اللفظ مؤنثة، ولا يعني الإناث من الأنعام خاصة!

وأما تنكير { غملة } ففيه دلالة على البعضية، والعموم. أي: قالت غملة من هذا النمل. وهذا يعني أن كل غملة مسؤولة عن جماعة النمل.

وأما قولها: "ادخلوا مساكنكم"، ففيه إيجاز بالحذف بليغ؛ لأن أصله: ادخلوا في مساكنكم، فحذف

منه { في }، تنبيهاً على السرعة في الدخول.

ولفعل { دخل } استعمالات دقيقة في اللغة والقرآن، تخفى حتى على الكثير من علماء اللغة والتفسير، لخصها الأستاذ محمد إسماعيل عتوك في مقالته النقدية (من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم).

وأما قولها: "لا يَحْطِمَنَّكُمْ"، بنون مشددة أو خفيفة، فظاهره النفي؛ ولكن معناه على النهي. والنهي إذا جاء على صورة النفي، كان أبلغ من النهي الصريح. وفيه تنبيه على أن من يسير في الطريق، لا يلزمه التحرز؛ وإنما يلزم من كان في الطريق.

خامساً- وفي التعبير — "لا يَحْطِمَنَّكُمْ"، دون غيره من الألفاظ، دلالة دقيقة على المعنى المراد، لا يمكن لأي لفظ أن يعبر عنه. ويبيّن ذلك أن الحَطْمَ في اللغة هو الهَشْمُ، مع اختصاصه بما هو يابس، أو صلب. والحَطْمَةُ من أسماء النار؛ لأنها تحطم ما يلقي فيها. وعن بعض العرب: قد تحطمت الأرض، ييساً، فأنشبوها فيها المخالب، وهي المناجل. أي: تكسرت زروع الأرض، وتفتتت لفرط ييسها، فجزوها. ومن هنا نجد القرآن الكريم يستعمل لفظ الحطم للزرع اليابس المتكسر. قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ زُرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرْدُهُ مُصَفًّى ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَمًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي

الْأَلْبَابِ ﴿ الزمر - ٦١ ﴾

وقد ثبت للعلماء أن الزرع يحتوي في ساقه وورقه على نسب كبيرة من الزجاج؛ ولهذا نراه يتكسر حين يصفر، كما يتكسر الزجاج. وكذلك النمل، فقد ثبت أن جسم النملة يحتوي على نسبة كبيرة من الزجاج، وأنه مغلف بغلاف صلب جداً قابل للتحطم؛ كالزرع اليابس، والزجاج الصلب. وذلك يشكل إعجازاً علمياً من إعجاز القرآن إلى جانب إعجازه البياني، الذي يسمو فوق كل بيان!

وبعد.. فقد أدركت هذه النملة الضعيفة فخامة ملك سليمان، وأحسّت بصوت جنوده قبل وصولهم إلى وادي النمل، فنادت قومها، وأمرتهم بالدخول في مساكنهم أمر من يعقل، وصدر من النمل الامتثال لأمرها، فأتت بأحسن ما يمكن أن يؤتى به في قولها من الحكم، وأغربه، وأفصحه، وأجمعه للمعاني؛ ولهذا تبسم سليمان عليه السلام حين سمع قولها، وروي عنه -عليه السلام- أنه قال لها: لم قلت للنمل: "ادخلوا مساكنكم؟" أخفت عليهم من ظلمنا؟! فقالت: لا، ولكن خفت أن يفتنونا

بما يروا من ملكك، فيشغلهم ذلك عن طاعة الله!

وفي حديث سليمان - عليه السلام - مع النملة، وحديثها مع قومها إعجاز آخر من إعجاز القرآن. فقد أثبت العلماء أن للنمل لغته الخاصة، التي يتفاهم بها، كما أثبت أن النملة المؤنثة هي التي ترعى قومها، وتتولى الدفاع عنهم، وتنبههم لأي خطر قادم، أو مفاجئ، وليس للذكر أي دور في ذلك؛ لأن مهمته مقتصرة على تلقيح الأنثى العذراء مرة واحدة في حياته، ثم يختفي.^(١)

٥٣- إذا سألت مجموعة من الناس، هل خلق الله الليل أولاً أم خلق النهار..؟

فالبعض سيجيب: خلق النهار أولاً، فنقول له أخطأت!

والبعض الآخر سيقول خلق الليل أولاً، فنقول له أخطأت!

فكيف نخرج من هذه المسألة الجدلية..؟

الإجابة الصحيحة: لقد خلق الله الليل والنهار معاً...!

وهذا هو الدليل الراسخ على كروية الأرض، والأمر فيه تفصيل.

ومن أراد تفصيل ذلك بإسهاب فليرجع إلى تفسير الآية: ٤٠ من سورة يس - خواطر الشعراوي^(٢)، والآية ٥ من سورة يونس لفضيلة الشيخ الشعراوي.

٥٤- إن اليوم على سطح الأرض أقصر من السنة، فهل يعقل أن يكون الأمر على عكس

ذلك أي أن يكون اليوم أطول من السنة، وذلك في مكان آخر غير سطح الأرض.

الإجابة: نعم.

(١) كتاب: الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم. جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود

(ج ١/ص ٢).

(٢) خواطر الشعراوي، جزء ٢١، ص ١٢٦٦٦ - ج ٩، ص ٥٧٤٢.

فإن كوكب الزهرة يدور حول نفسه أبطأ من دورانه حول الشمس وهذا يخرجنا من القضية الجدلية التي يثيرها المستشرقون بشأن قوله سبحانه:

﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ...﴾^(١) الحج ٤٧.

وقوله ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٢) المعارج ٥.

ملحوظة مهمة للقارئ

بعض المسائل مما جاء في المبحث الأول مجملاً سوف يأتي في المبحث الثاني كل في موضعه من السورة التي جاءت فيها الآية، وهذا ليس بتكرار وإنما قمت بهذا التصنيف كنوع من التبويب والترتيب للكتاب.

(١) خواطر الشعراوي، جزء ٩، ص ٥٦٨٦.

المبحث الثاني

اللطائف البلاغية للمتشابهات القرآنية

فاتحة الكتاب

رأيت أن أبدأ بما افتتح به الملك سبحانه وتعالى كتابه العزيز، فقبل أن أخط حرفاً في مباحث الكتاب، فلنبداً ببعض الإشارات البلاغية والوقفات الإيمانية مع **فاتحة الكتاب**.

ما من شك أن تكرار المسلم للفاتحة في اليوم الواحد سبع عشرة مرة - هذا في الفرائض فقط، خلاف السنن والنوافل - فلا بد أن لذلك سرّاً، ومن أروع ما قرأت في ذلك ما ذكره الدكتور/ **عبد الرزاق البدر**، نذكر مختصره:

١- (إن فاتحة الكتاب قد تضمنت ثلاثة أسماء لله سبحانه: (الله والرب والرحمن)، وهذه الأسماء الثلاثة تجمع في دلالتها سائر الأسماء الحسنى، وقد اشتملت فاتحة الكتاب على هذه الأسماء^(١).
وقد أورد الدكتور **عبد الرزاق البدر** في كتابه كلاماً قيماً لشيخ الإسلام **ابن القيم** رحمه الله يقول فيه:-

(اعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتمال، وتضمنتها أكمل تضمن، فاشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى والصفات العلى إليها ومدارها عليها وهى: **الله والرب والرحمن** وبُنيت السورة على الألوهية والربوبية والرحمة، فإياك نعبد مبني على الألوهية، وإياك نستعين على الربوبية، وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم بصفة الرحمة، والحمد يتضمن الأمور الثلاثة فهو المحمود في ألوهيته وربوبيته ورحمته والثناء والمجد كمالاً لجلده) **أهـ**^(٢).

(١) فقه الأسماء الحسنى (ص ٨٩).

(٢) مدارج السالكين (ج ١/ ص ٧).

٢- من أسرار قوله سبحانه:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة - ﴿١﴾

ذكر ابن القيم فصلاً في ذلك في كتابه (مدارج السالكين)، وأورده الدكتور عبد الرزاق البدر في كتابه (فقه الأسماء الحسنی):

فإن أول ما يتعلق القلب يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقى إلى توحيد الإلهية كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر ويحتج عليهم به، ويقررهم به ثم يُخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية.

وفي هذا المشهد يتحقق له مقام إياك نعبد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف - ﴿١٧﴾

أى فأين يصرفون عن شهادة أن لا إله إلا الله وعن عبادته وحده وهم يشهدون أنه لا رب غيره ولا خالق سواه، وكذلك قوله: ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ المؤمنون - ﴿٨٤﴾

فتعلمون أنه إذا كان هو وحده مالك الأرض ومن فيها وخالقهم وربهم ومليكمهم فهو وحده إلههم ومعبودهم، فكما لا رب لهم غيره فهكذا لا إله لهم سواه. هـ.

سورة البقرة

أولاً- بعض التوجهات الإيمانية والإشارات اللغوية:

لمحات من سورة البقرة في معنى تزكية النفس وأهميتها وأنها لب الدين وصمام الأمان: عندما

دعا نبي الله إبراهيم ربه فقال:

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ البقرة - ﴿٣﴾

فاستجاب الله له وجاءت الإجابة في ثلاثة مواضع:

قوله: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا

وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا

تَعْلَمُونَ﴾ البقرة - ﴿١٢٩﴾

وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران - ﴿١٣٦﴾

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ

الجمعة - ﴿٢﴾

عادة ما يحدث لبس وخلط للقارئ بين هذه الآيات من حيث تقديم وتأخير التزكية؛ حيث تجد أن الله قد رتب هنا ترتيباً مختلفاً عن عما ذكر مع سيدنا إبراهيم **فقدم التزكية أولاً**.

يقول الله سبحانه في سورة فصلت: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ﴾  الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ

الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿﴾ **فصلت -** 

أى لا يكون أنفسهم بالتوحيد كما جاء في التفسير، قال ابن عباس: لا يشهدون "أن لا إله إلا الله" وهي زكاة الأنفس^(١).

فأين توضع التزكية على خريطة الدين..؟

ما بنى الشرع إلا من أجل التزكية وهى تطهير النفس من الشرك، ففى زماننا هذا تسمع عن الذين وصلوا إلى أعلى الآفاق في العلم وصلوا إلى القمر وإلى كوكب المريخ، ثم هم يعبدون الشيطان أو البقر أو النار، وصلوا إلى آفاق عالية ثم هم يعبدون أنفسهم وشهواتهم، وهذا إن دل فإنما يدل على قذارة النفس، وهذا هو السر في أن كثيراً من المساجين في الدول الغربية يسلم في السجن عندما يتم عزله عن هذه المؤثرات وينفرد فتطهر نفسه وتركو.

عبادات الإسلام كلها تزكية:

إذا تأملت عبادات الإسلام تجدها كلها تزكية.

الصلاة تزكية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ۚ وَلَذِكْرُ

اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿﴾ - العنكبوت .

الصيام تزكية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿﴾ البقرة - 

(١) تفسير القرطبي (ج ١٥/ص ٣٤٠)

الحج تركية، قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ البقرة - ﴿١٧٧﴾

الزكاة تركية، قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة - ﴿١٣٤﴾

الشهادة تركية، قال تعالى ﴿... وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ فصلت - ﴿٧٧﴾

لذلك إذا أردنا أن نضع التزكية على خريطة الإسلام وضعناها في أعلى مكان وجعلناها تتداخل في كل العبادات، وهي قضية تنمية الإيمان الذي يخلق في جوفنا ^(١)

* - لطيفة بلاغية:

قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ **تَنْظُرُونَ**﴾ البقرة - ﴿٢٠٥﴾

كما ذكر **القرطبي**: (وقيل: المعنى "تنظرون" أى إلى حالكم وما نزل بكم من الموت وآثار الصعقة^(٢))، يقال: (جاء الصاعقة فأخذت الأول منهم والتسعة والستون الآخرون ينظرون، ثم جاءت فأخذت الثاني والثمان والستون ينظرون، وهكذا حتى أخذت منهم الرجل رقم تسعة وستين

(١) شرح الشيخ/ محمد حسين يعقوب لكتاب مدارج السالكين.

(٢) تفسير القرطبي (ج ١/ص ٤٠٣).

وآخر الرجال السبعين ينظر إلى هلاك التسع والستين من قومه^(١).

* - لطيفة:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة - ١٢٧

قيل في قوله (يَرْفَعُ):

معنى رفع القواعد أى إيجاد البعد الثالث، وهو الارتفاع؛ لأن البيت الحرام له طول وهذا هو البعد الأول، وله عرض وهو البعد الثانى وبهما تتحدد المساحة، أما الارتفاع فبضربه في البعدين الآخرين يعطينا الحجم، وقد أقام سيدنا إبراهيم عليه السلام البعد الثالث الذي يبرز الحجم^(٢).

قلت والله أعلم:

صدق الله إذ يقول ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

الأنعام - ٣٨

فهذا علم الهندسة قد ذكره الله في القرآن في كلمة واحدة.

* - لطيفة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى

لِّلْعَالَمِينَ﴾ آل عمران - ٩٦

(١) د. محمد سالم مدرس التفسير بمعهد أبي بن كعب، وقال لأنهم قوم بهت ينكرون ما يرونه من

الدلائل والمعجزات.

(٢) من خواطر الشعراوى (ج ١/ ٣٧٥٢).

وهذا يعني أن البيت كان موجوداً قبل ذلك، وهذا القول يرد على بعض العلماء الذين قالوا: إن إبراهيم - عليه السلام - هو أول من بنى الكعبة، فنقول لهم: وماذا عن الخلق البشري من قبل إبراهيم إلى آدم، أليسوا ناساً؟ فلماذا لم يكن لهؤلاء الناس من قبل إبراهيم بيتٌ محرمٌ؟ وهكذا شاء الحق سبحانه أن يكون البيت الحرام لكل الناس من لدن آدم، وأنه موضوع من قِبَلِ الله (١).

* - قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالْنَّصَرَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة - ﴿٢٢﴾

لما كانت الآية في سياق دعوة اليهود إلى الإسلام ناسب أن يعلموا أن التَّسَبُّ لا قيمة له، وإنما العبرة بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المزكى للروح البشرية والمطهرة لها، فلذا المسلمون واليهود والنصارى والصابئون وغيرهم كالمجوس وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الإيمان وعمل صالحاً مما شرع الله تعالى من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم عند موتهم من أجل ما تركوا من الدنيا؛ إذ الآخرة خير وأبقى.

والإيمان الصحيح لا يتم لأحد إلا بالإيمان بالنبي الخاتم محمد ﷺ، والعمل الصالح لا يكون إلا بما جاء به النبي الخاتم في كتابه وما أوحى إليه؛ إذ بشريعته نسخ الله سائر الشرائع قبله وبالنسخ بطل مفعولها، فهي لا تزكى النفس ولا تطهرها، والسعادة الأخروية متوقفة على زكاة النفس وطهارتها (٢).

(١) من خواطر الشعراوي (ج ٩/ ٥٦٦٥).

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (ج ١/ ص ٤٠).

قلت والله أعلم:

تأمل في الآية السابقة رقم ٦٢ والآيتين ١١١ و ١١٢، وانظر في هذا المعنى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ - البقرة

قد يقول قائل: ما وجه التكرار في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ البقرة - ٦٢، ثم يقول في الآية نفسها: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ...﴾ البقرة - ٦٢.

هذا تأكيد على أن الانتماء إلى فصيل ديني ليس فيه النجاة، ولكن يشترط أن يكون العمل قرينا له، لذلك عندما قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ...﴾

﴿١١١﴾ - البقرة.

رد عليهم الله سبحانه وتعالى فقال: ﴿بَلَىٰ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ

رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ - البقرة

تأكيداً للمعنى، والله أعلم بمراحه سبحانه.

ثانياً - متشابهت السورة:

١- ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا

وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة - ﴿٣٥﴾

قلت والله أعلم:

في هذا الترتيب وتتابع الكلمات قمة بلاغية رائعة؛ فالسكن يقتضى كلمة (رغداً)، ولذلك جاء بحرف الواو ولم يأت بالفاء، فقال: (وكُلا) ولم يقل: "فكُلا"؛ لأن الفاء توحى بالسرعة، وعدم السكينة خلاف الواو، لذلك قدم كلمة (رغداً) حتى لا تلاصق كلمة (ولا تقربا) لزيادة الشعور لآدم وزوجه بالطمأنينة والسكينة، ثم بعد ذلك جاء سبحانه بالنهي، وهذا قريب الشبه في التعبير لما جاء

في سورة التوبة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ...﴾ التوبة - ﴿٤٢﴾

فهذا التعبير غاية في الجمال والروعة لعتاب الحبيب لحبيه، وكما جاء في بعض التفاسير: (فقدّم العفو أولاً وقرّره) (١).

وهذا خلاف السياق الذي جاء عند الحديث عن بنى إسرائيل في آية البقرة:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ^ج وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

(البقرة - ﴿٢٨﴾).

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٤ / ص ٨٨٦٩).

في هذا التتابع والتناغم للألفاظ أيضاً دقة بلاغية عالية، فكلمة ادخلوا توحى بالسرعة وعدم السكينة، وهذا خلاف ما في سورة يوسف:

﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ (يوسف - ﴿١١﴾)؛ فهم قد استقروا فيها، أما بنو إسرائيل فلم يستقروا، لذلك جاء بالفاء (فَكُلُّوا) لذلك اخر (رغداً)، والله أعلم.

٢- قوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيْنَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة - ﴿٢٠١﴾)

وَوَجْهُ الْاِقْتِصَارِ فِي الْآيَةِ عَلَى ذِكْرِ هَذِهِ الْأَدْيَانِ الثَّلَاثَةِ مَعَ الْإِسْلَامِ دُونَ غَيْرِهَا مِنْ نَحْوِ الْمَجُوسِيَّةِ وَالذَّهْرِيَّةِ وَالزَّنَادِقَةِ أَنَّ هَذَا مَقَامٌ دَعَوْتُهُمْ لِلدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْمَتَابِ عَنْ أَدْيَانِهِمْ الَّتِي أُبْطِلَتْ لِأَنَّهُمْ أَرْجَى لِقَبُولِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْمَجُوسِ وَالذَّهْرِيِّينَ؛ لِأَنَّهُمْ يُنَبِّئُونَ الْإِلَهِ الْمُتَفَرِّدَ بِخَلْقِ الْعَالَمِ وَيَتَّبِعُونَ الْفَضَائِلَ عَلَى تَفَاوُتِ بَيْنِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ عَلَيْهِمْ تَقْرِيباً لَهُمْ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، لَا تَرَى أَنَّهُ ذَكَرَ الْمَجُوسَ مَعَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيْنَ وَالنَّصْرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ [الحج: ١٧] لِأَنَّ ذَلِكَ مَقَامٌ تَثْبِيتٌ لِلْبَنَى (ﷺ) وَالْمُسْلِمِينَ^(١).

(١) التحرير والتنوير (ج ١/ ٥٣٨).

قلت والله أعلم:

مسألة لطيفة: تذكر فقط للمساعدة في حفظ هذا الترتيب الذي جاء في سورة البقرة:

هذا الترتيب هو نفس ترتيب فاتحة الكتاب، ذكر المؤمنين ثم اليهود ثم النصارى (الَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ / الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ / الضَّالِّينَ) أى لقرب هذا الموضع من موضع الفاتحة وهذه

إشارة فقط للحفظ، والله أعلم بمراده سبحانه.

٣- مسألة:

قوله تعالى: ﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمَ مَا لَكَ مِنْ

أَلَلِه مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة - ١٢٠)

وقال في الموضع الثاني الذي سبقه الحديث عن القبلة:

﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْعَلِمَ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ

الظِّلْمِينَ﴾ (البقرة - ١٢٥)

فما الحكمة من قوله سبحانه في الموضع الأول: (بَعْدَ الَّذِي) وفي الموضع الثاني الذي سبقه

الحديث عن القبلة قال: (بَعْدِ مَا).

والسؤال الثاني: ما الحكمة من زيادة حرف (مِّنْ) في الموضع الثاني؟

جوابه والله أعلم:

إن (الذى) أبلغ من (ما) في باب الموصول في الاستغراق، كما أن الزيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في

المعنى، و(الذى) خمسة أحرف، و(ما) حرفان، فهذه الزيادة حتما تضيف معنى.

فلما تضمنت الآية الأولى اتباع عموم أهوائهم في كل ما كانوا عليه، بدليل: وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.

فإن العلم المراد في هذا الموضع كل العلم؛ لأنه يتحدث عن الملة (حتى تتبع ملتهم) والملة أى ملة

تشتمل على الكثير من العلم وليس على فرع منه؛ لذلك ناسب لفظ (الذى) التى هى أبلغ في بابها من (ما).

أما آية البقرة: فالآية قبلها عن القبلة واتباعهم في القبلة، إذا فالمراد بالعلم هنا جزء أو فرع منه وليس كل العلم؛ لذلك ناسبها (ما) ودخلت (من) في آية القبلة، لأنه في أمر مؤقت معين وهو: الصلاة التى نزلت الآية فيها أى: من بعد نسخ القبلة لأن (من) لا ابتداء الغاية^(١).

قلت: في زيادة كلمة (من) - والله أعلم - وهذا وفقاً لقواعد اللغة والبلاغة:

عندما تقول: (ما عندي تمر) وتقول: (ما عندي من تمر)، فالثانية أشد في النفي، ففي الأولى قد يكون عندك ثمرة أو شق ثمرة، أما الثانية فقد نفت وجود جنس التمر أصلاً، وقياساً على ذلك جاءت كلمة (من) في قوله: (من بعد ما جاءك) في الآية الخاصة بالقبلة ولم تأت في آية الملة؛ لأن العلم في الثانية أقل من الأولى^(٢).

تحدث في هذه المسألة ابن عاشور باستفاضة رائعة شملت معظم متشابهات الآيتين: قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّ قَرِيباً مِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَلِينَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ

وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة - ﴿١٢٠﴾)

فَعَبَّرَ هُنَالِكَ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ (الَّذِي) وَعَبَّرَ هُنَا بِاسْمِ الْمَوْصُولِ (مَا)، وَقَالَ هُنَالِكَ: «بَعْدَ»، وَقَالَ هُنَا: «مِنْ بَعْدٍ»، وَجَعَلَ جَزَاءَ الشَّرْطِ هُنَالِكَ انْتِفَاءَ الْوَلِيِّ وَالنَّصِيرِ، وَجَعَلَ الْجَزَاءَ هُنَا أَنْ يَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَقَدْ أوردَ هَذَا السُّؤَالَ صَاحِبُ «دُرَّةُ التَّنْزِيلِ وَغُرَّةُ التَّأْوِيلِ». وَهُوَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي المتوفى سنة (٦٠٦ هـ)، تكلم فيه على الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة التى يقصد المُلْحِدُونَ عيبتها،

(١) (ابن جماعة) يتصرف كثير (ج ١/ص ١٠٥).

(٢) هذه الناطرة لها شاهد ذكره د/محمد إبراهيم الحنفاوى - أستاذ أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون بالقاهرة؛ وذلك في تحقيقه لتفسير

وَأَجَابَ عَنْهَا قَائِلًا:

وَحَاوَلَ إِبْدَاءَ خُصُوصِيَّاتٍ تُفَرِّقُ بَيْنَ مَا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْإِيتَانِ وَلَمْ يَأْتِ بِمَا يَشْفِي، وَالَّذِي يُرْشِدُ إِلَيْهِ كَلَامُهُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ (الَّذِي) وَ(مَا) وَإِنْ كَانَا مُشْتَرِكَيْنِ فِي أَنَّهُمَا اسْمَا مَوْصُولٍ، إِلَّا أَنَّهُمَا الْأَصْلُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمَوْصُولَةِ، وَلَمَّا كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَ النَّبِيُّ (ﷺ) فِي غَرَضِ الْآيَةِ الْأُولَى هُوَ الْعِلْمُ الْمُتَعَلِّقُ بِأَصْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَبِطُلَانِ مِلَّةِ الْيَهُودِ وَمِلَّةِ النَّصَارَى بَعْدَ النَّسْخِ، وَبِإِثْبَاتِ عِنَادِ الْفَرِيقَيْنِ فِي صِحَّةِ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وَذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ

قَيْنَتُونَ﴾ (البقرة - ١١٦) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَى﴾ (البقرة -

١٢٠)، فَلَا حَرَمَ كَانَ الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَ فِي ذَلِكَ هُوَ أَصْرَحَ الْعِلْمِ وَأَقْدَمَهُ، وَكَانَ حَقِيقًا بِأَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ الصَّرِيحِ فِي التَّعْرِيفِ.

وَأَمَّا الْآيَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي نَحْنُ بِصَدَدِهَا فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِإِبْطَالِ قِبَلَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، لِأَنَّهَا مَسْبُوقَةٌ بِبَيَانِ ذَلِكَ ابْتِدَاءً مِنْ قَوْلِهِ:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ

الْمَشْرِيقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة - ١٤٢)

وَذَلِكَ تَشْرِيعٌ فَرَعِيٌّ، فَالتَّحْذِيرُ الْوَاقِعُ بَعْدَهُ: تَحْذِيرٌ مِنْ اتِّبَاعِ الْفَرِيقَيْنِ فِي أَمْرِ الْقِبَلَةِ، وَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ مِثْلُ مَا لِلتَّحْذِيرِ مِنْ اتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ بِأَسْرَها فَلَمْ يَكُنْ لِلْعِلْمِ الَّذِي جَاءَ النَّبِيُّ فِي أَمْرِ قِبَلَتِهِمْ مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ مَا لِلْعِلْمِ الَّذِي جَاءَهُ فِي بَطْلَانِ أُصُولِ مِلَّتِهِمْ، فَلِذَلِكَ جِيءَ فِي تَعْرِيفِهِ بِاسْمِ الْمَوْصُولِ الْمُلْحَقِ بِالْمَعَارِفِ وَهُوَ (مَا) لِأَنَّهَا فِي الْأَصْلِ نَكْرَةٌ مَوْصُوفَةٌ نُقِلَتْ لِلْمَوْصُولِيَّةِ.

وَأَيَّمَا أُدْخِلْتَ (مِنْ) فِي هَذِهِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى (بَعْدِ) بِقَوْلِهِ: مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ لِأَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَعَتْ بَعْدَ الْآيَةِ الْأُولَى فِي سُورَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا بَعِيدُ فَصْلٍ فَكَانَ الْعِلْمُ الَّذِي جَاءَهُ فِيهَا مِنْ قَوْلِهِ: مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ هُوَ جُزْئِيٌّ مِنْ عُمُومِ الْعِلْمِ الَّذِي جَاءَ فِي إِبْطَالِ حَمِيعِ مِلَّتِهِمْ، فَكَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُشَارَ إِلَى كَوْنِهِ جُزْئِيًّا لَهُ بِإِيرَادِ (مِنْ) الْإِبْتِدَائِيَّةِ^(١).

قلت في شأن تزييل الأولى بقوله: «مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ»،

والثانية: «إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ»

الوعيد في الأولى أشد وأعظم في التعبير ليناسب قوله: «وَلَمَّا أَتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ» فإن اتباعهم الملة غير المسلمة أمر جلل خطير فعَلَّظَ في الوعيد، أما في الثانية فالحديث عن جزء من عقيدتهم وملتهم وهو أمر القبلية لذلك خفف في الوعيد فقال: «إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ» والله أعلم بمراحه سبحانه.

٤ - مسألة:

الضمير في قوله: «الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ

فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» البقرة - ﴿١٤٦﴾

أحد الأقوال أنه: راجع إلى أمر القبلية: أى علماء أهل الكتاب يعرفون أمر القبلية التي نُقِلَتْ إليها كما يعرفون أبناءهم، وهو قول ابن عباس وقتادة والربيع وابن زيد.

واعلم أن القول الأول (أن الضمير يرجع إلى معرفتهم بنبوّة الرسول) أولى من وجوه. أحدها: أن الضمير إنما يرجع إلى مذكور سابق، وأقرب المذكرات العلم في قوله: «مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» [البقرة: ١٤٥]، والمراد من ذلك العلم: النبوة، فكأنه تعالى قال: إنهم يعرفون ذلك العلم

كما يعرفون أبناءهم، وأما أمر القبلة فما تقدم ذكره البتة.

وثانيها: أن الله تعالى ما أخبر في القرآن أن أمر تحويل القبلة مذكور في التوراة والإنجيل، وأخبر فيه أن نبوة محمد (ﷺ) مذكورة في التوراة والإنجيل، فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى. وثالثها: أن المعجزات لا تادل أول دلالتها إلا على صدق محمد (ﷺ)، فأما أمر القبلة، فذلك إنما يثبت لأنه أحد ما جاء به محمد (ﷺ) فكان صرف هذه المعرفة إلى أمر النبوة أولى^(١).

وقال العلامة الطاهر بن عاشور:

الضمير المنصوب في يَعْرِفُونَهُ لا يعود إلى تحويل القبلة؛ لأنه لو كان كذلك لصارت الجملة تكريراً لمضمون قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٤]، بل هو عائد إما إلى الرسول وإن لم يسبق ذكر المعادٍ مناسبٍ لضمير الغيبة، لكنه قد علم من الكلام السابق وتكرر خطابه فيه من قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله: ﴿فَلَنُؤَلِّينَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ [البقرة: ١٤٤]، وقوله:

﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فالإتيان بالضمير بطريق الغيبة من الالتفات، وهو على تقدير مضاف؛ أي يعرفون صدقته، وإما أن يعود إلى (الحق) في قوله السابق: (ليكنتمون الحق)، فيشمل رسالة الرسول وجميع ما جاء به، وإما إلى العلم في قوله: ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾

(١) (مفاتيح الغيب، ج ٤ ص ١١٦، ١١٧).

[البقرة: ١٤٥] ١ هـ (١)

٥- مسألة: في قصة البقرة:

قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْنَحُوا بَقَرَةً...﴾ البقرة

عندما كثرت أسئلة بني إسرائيل عن وصف البقرة ما الحكمة في أن الإجابة والهداية لم تأتكم من الله بشأن البقرة إلا في المرة الثالثة.

الإجابة والله أعلم: عندما قالوا: ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ...﴾ البقرة -

قيل: أى مهتدون إلى البقرة المراد ذبحها وفي الحديث الذي رواه الطبري قال: حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قال: ذكر لنا أن نبى الله (ﷺ) كان يقول: "إنما أمر القوم بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا على أنفسهم شدد عليهم. والذي نفس محمد بيده، لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد (٢)".

٦- مسألة في الوقف والابتداء: أنواع الوقف والابتداء في القرآن أربعة على المشهورة في كتب التجويد، ولكن هناك نوع خامس قد يندر ذكره وهو الوقف التعسفي، والابتداء التعسفي وهو أن يتكلف القارئ وقفاً أو يبدأ ببداية فيها تكلف -ويتبن ذلك على سبيل المثال في قوله: ﴿وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ﴾ البقرة - ﴿١٥٥﴾، تجد بعض القراء يقف هنا مع نهاية الآية، وهذا الوقف مطابق لسنة النبي (ﷺ)؛ فقد كان يقف على رؤوس الآي، ولكن التعسف أن يبدأ فيقول: الصابرين الذين إذا أصابهم مصيبة فجعل الصابرين التي هي هنا في موضع رفع مبتدأ في هذه الترتيب الجديد الذي ابتدعه القارئ، جعلها في موضع نصب أو جر مخالفاً لقواعد النحو، وهذا لا يستقيم.

٧- مسألة:

(١) (التحرير والتنوير، ج ٢ ص ٣٩).

(٢) جامع البيان: تفسير الطبري (ج ٢/ص ٢٠٦).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ...﴾ (البقرة - ١٧٧)، ثم قال:

﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾، ولم يقل: بضائهم؛

مع ما فيه من بديع المطابقة؟

جوابه: إن الضياء أبلغ من النور ولا يلزم من ذهابه ذهاب النور، بخلاف عكسه فذهاب النور أبلغ في نفى ذلك^(١).

وقد تحدث ابن القيم في تفسيره عن هذه الآية فقال:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة - ١٧٧)

فجمع فيها من اللطائف ما يحسن ذكره:

قال: وتأمل قوله تعالى: ﴿أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ كيف جعل ضوءها خارجاً عنه منفصلاً، ولو اتصل ضوءها به ولا يسه لم يذهب، ولكنه كان ضوءه مجاورة لا ملازمة ومخالطة، وكان الضوء عارضاً والظلمة أصلية، فرجع الضوء إلى معدنه وبقيت الظلمة في معدنها فرجع كل منهما إلى أصله اللائق به حجة من الله قائمة وحكمة بالغة تعرف بها إلى أولى الألباب من عباده.

وتأمل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ ولم يقل: بنارهم، ليطابق أول الآية، فإن النار فيها

إشراق وإحراق، فذهب بما فيها من الإشراق وهو النور، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق وهو

النارية. وتأمل كيف قال: (بنورهم) ولم يقل بضوئهم مع قوله: ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾

لأن الضوء هو زيادة في النور، فلو قيل: ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون

(١) ابن جماعة (ج ١/ص ٩٠).

الأصل، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشئ وزيادة، وأيضاً فإنه أبلغ في النفي عنهم وأنهم من أهل الظلمات الذين لا نور لهم، وأيضاً فإن الله تعالى سمى كتابه نوراً ورسوله نوراً ودينه نوراً وهداه نوراً، ومن أسمائه: النور والصلاة نور فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله.

وتأمل مطابقة هذا المثل لما تقدمه من قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى

فَمَا رَیَحَتْ تُجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة - ﴿١٦﴾)، كيف طابق هذه

التجارة الخاسرة التي تضمنت حصول الضلالة والرضا بها وبدل الهدى في مقابلتها، وحصول الظلمات التي هي الضلالة والرضا بها بدلاً عن النور الذي هو الهدى والنور، فبدلوا الهدى والنور وتعوضوا عنه بالظلمة والضلالة، فيا لها من تجارة ما أخسرها وصفقة ما أشد غبنها!!

وتأمل كيف قال الله تعالى: (ذهب الله بنورهم) فوحده - أي فوحد لفظ النور - ثم قال: (وتركهم في ظلمات) فجمعها، فإن الحق واحد وهو صراط الله المستقيم الذي لا صراط يوصل إليه سواه، وهو عبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله، لا بالأهواء والبدع وطرق الخارجين عما بعث الله به رسوله من الهدى ودين الحق بخلاف طرق الباطل؛ فإنها متعددة متشعبة ولهذا يفرد

سبحانه الحق ويجمع الباطل كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِآؤُهُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم

مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

البقرة - ﴿٢٠٧﴾ أ.هـ.

قلت والله أعلم: لذلك قال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس - ﴿١٠﴾).

وقد أكد لنا علماء الفضاء والفلك أن القمر لا يضيء من تلقاء نفسه، إنما هو نور نتيجة انعكاس ضوء الشمس عليه.

٨- مسألة:

قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة - ﴿٢٨﴾) ما الحكمة من ذكر قصة آدم هنا مجملًا وفي بقية السور مفصلاً؟

جوابه: لما تقدم التفصيل في السورة المكية أجمله في السورة المدنية وهي البقرة، اكتفاء بما تقدم علمه من التفصيل في المكيات ^(١).

٩- مسألة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبَعَ هَذَا﴾ (البقرة - ﴿٢٨﴾)، وقوله: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَا﴾ (طه - ﴿١٢٢﴾).

جوابه: يحتمل والله أعلم أن - فَعِلَ - التي جاء على وزنها: **تَبَعَ**، لا يلزم منه مخالفة الفعل قبله، و-

افتعل - التي جاء على وزنها: **أَتَّبَعَ** يشعر بتجديد الفعل، وبيان قصة آدم هنا لفعله، فجاء بقوله: ﴿

(١) ابن جماعة (ج ١/ ٩٢).

تَبِعَ هُدَايَ» وفي طه جاء بعد قوله: ﴿... وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزَمًا...﴾ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى
فناسب (من اتبع)، أي: جدد قصد الاتباع (١).

قلت والله أعلم:

من المعروف في قواعد البلاغة أن الزيادة في مبنى الكلمة تدل على زيادة في معناها الكلمة،
وإذا تأملت آية طه ستجد قوله:

﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى
فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ طه - ﴿٣٨﴾.

أما آية البقرة:

﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبِعَ هُدَايَ فَلَا
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة - ﴿٢٨﴾).

إن الزيادة في آية طه وهى قوله سبحانه: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ قد ناسبها أن

يأتى قوله: (اتَّبَعَ) بزيادة همزة الوصل، أما في البقرة فلم يذكر قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ﴾ لذلك قال: (تَبِعَ) بدون همزة الوصل.

وقد عَنَّنِى -والله أعلم بمراده سبحانه- أن الزيادة في طه تدل على مراد الله أن يؤكد لنا عداوة

الشیطان ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ولا حيلة لابن آدم للنجاة من هذه العداوة إلا باتباع هدى

(١) ابن جماعة (ج ١/ ٩٣).

الله؛ لذلك جاء بقوله: (اتبع) بدل من (تبع) بزيادة الهمزة، فكما بالغ في التحذير من الشيطان بالغ في التأكيد على اتباع هديه سبحانه.

١٠- مسألة:

قوله: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة - ٥١).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة - ٩٢).

لاحظ تطابق عجز الآية مع اختلاف البداية.

قلت والله أعلم:-

في الأولى واعد الله موسى أربعين ليلة والتي تلقى فيها الألواح والوصايا، ثم ذهب إلى قومه بها فأصبح الترتيب: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ ثم: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ﴾، ثم كان من بنى إسرائيل بعد ذلك ما كان من اتخاذ العجل، ونذكر ما ذكرناه من قبل في الفرق بين **أتى** و**جاء** فقال: هنا (**جاء**) ولم يقل: (**أتاكم** بالبينات) لعظم الأمر، فقد جاء ومعه الألواح والوصايا من الله فناسبها قوله: (**جاءكم**).

١١- مسألة:

قوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة - ٤٨).

والآية الثانية قوله:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة - ﴿١٢٣﴾)

تحدث ابن جماعة في هذه المسألة، ولكن فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله ذكرها بتفصيل وتبسيط وتوضيح يسهل على العامي فهمه قال:

وفي القرآن آيتان جاءتا بنص متقارب، فالحق يقول: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ البقرة - ﴿١٢٣﴾.

والآية الثانية تقول: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة - ﴿١٢٣﴾).

ومن حاولوا المقارنة بين الآيتين بغرض الطعن في القرآن، هم من الغبراء عن اللغة ولا يملكون ملكة البيان التي يمكن أن يستقبلوا الأساليب بها، ولو امتلكوا هذه الملكة لعلموا أن الصدر في الآيتين محتمل لوجهين، فهناك نفس جازية هي التي تتشفع ونفس مجزئ عنها هي التي يُتشفع لها.

والضمير الذي يأتي في قول الحق: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا﴾ و﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾

و﴿وَلَا تَنْفَعُهَا﴾، هذا الضمير يصح أن يرجع إلى النفس الشافعة، ويصح أن يرجع إلى النفس

المشفوع لها، والإنسان منا إذا ما كان عليه شيء لإنسان آخر، وغير قادر على أن يستبرئ ذمته منه، فهو يلجأ إلى صديق لهذا الآخر، له مكانة عنده ليستشفع له، وفور أن يذهب صاحب المكانة إلى

هذا الآخر فهو يقول له: هل تقبل شفاعتي لفلان؟ فإن قال صاحب الأمر: لن أقبل الشفاعة، فالمستشفع عنده يقول له: إذن: سأدفع العدل، أي: ما يساوى قيمة ما كنت سأستشفع له فيه، وهكذا نجد أنفسنا أمام نفسين: شافعة، ومشفوع لها، والضمير يعود على أى من النفسين، وهكذا نجد أن صدر كل آية من الآيتين اللتين يقال عنهما: إنهما متشابهتان، صدر كل منهما منسجم مع عجزها (١).

١٢- قوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَمْ يَحِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ...﴾ (البقرة - ١٩٦).

من المعلوم أن مجموع سبعة وثلاثة يساوى عشرة، فما السبب في زيادة قوله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾.

جوابه والله أعلم:

قد يتوهم السامع أن قوله: ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ يدخل فيها الثلاثة أيام في الحج، فيظن أنه تبقى له أربعة أيام فقط، فقطع ذلك الوهم بقوله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (٢).

(١) خواطر الشعراوي (ج ١/ ٣٨٣٨).

(٢) ذكرها الشيخ صلاح صالح في مسجد الخلفاء، (حلقة القرآن) - وهذه الناطرة لها شاهد

ذكرها بالتفصيل صاحب تفسير التحرير والتنوير (ج ٢/ ص ٢١٦).

سورة البقرة / سورة إبراهيم

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ

يَذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (البقرة - ٤٩)

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أَجْنَحْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ (إبراهيم - ٦)

ما الحكمة من زيادة الهمزة في الآية الخاصة بسورة إبراهيم؟

جوابه: الأولى من كلام الله سبحانه والله لم يعدد عليهم فقال: ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ (البقرة - ٤٩)

عكس الآية الثانية: (أنجأكم - بزيادة الهمز-)؛ حيث أمر موسى بأن يعدد عليهم نعم الله: ﴿

وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ إبراهيم، ومعلوم أن الزيادة في مبنى الكلمة زيادة في معناها، والله

أعلم بمراحه سبحانه^(١).

٢- الموضعان الوحيدان في القرآن اللذان لم يذكر فيهما كلمة (يا قوم) في حديث موسى لقومه - قوله:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْنُحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة - ٦٧).

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ عَلَيَّكُمْ اللَّهُ﴾ (إبراهيم - ٦).

٣- قوله: ﴿....لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة - ٦٦).

(١) خواطر الشعراوى (ج ١/ ٤٦٤٢)

وقوله: ﴿...لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ (إبراهيم - ٨٤).

الإجابة والله أعلم:

ما في البقرة - والله أعلم بمراحه سبحانه- هو الأصل وكلمة (على شيء) هي صلة القدرة، والآيات قبلها عن قدرة الله المطلقة من الإتيان بالشمس من المغرب وإحياء الموتى فناسبها تقديم (على شيء) وتأخير (مما كسبوا)، أما في إبراهيم فالآيات قبلها (أعمالهم كسراب) فالحديث عن الأعمال، فقدم (مما كسبوا) وأخر (على شيء) ^(١).

٤- قوله: ﴿...وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ (البقرة - ١٢٦).

وقوله: ﴿...رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ (إبراهيم - ٨٤).

الإجابة والله أعلم:

في الأولى (هذا) مفعول أول و (بلداً) مفعول ثانٍ و (آمناً) صفة - وجاءت (بلداً) نكرة لأن الإشارة إلى (واد غير ذى زرع) وذلك قبل بناء الكعبة. وقيل: إن هذا دعاء عام لكل من هو في هذا البلد أو أتى إليه، أما في إبراهيم (هذا البلد) مفعول أول و (آمناً) مفعول ثانٍ وهو دعاء مخصوص بأمان مخصوص لكل ما في هذا البلد من جماد وطير وزرع وحيوان، وذلك بعد أن أصبح البلد القفر بلداً عامراً ^(٢).

(١) أسرار التكرار في القرآن، للكرمانى، (ج ١/ص ١١٧) بتصرف كثير.

(٢) أسرار التكرار في القرآن، للكرمانى، (ج ١/ص ٣٥).

سورة النساء

١- قوله سبحانه في أواخر آية الوصية:

﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ﴾ (النساء - ﴿١١﴾)

ما الحكمة من تقدم الـ وَصِيَّةٍ عَلَى (الدَّيْنِ) ونحن نعلم من السنة أن الـ دَيْنَ قبل الوصية.

الإجابة والله أعلم:

روى سفيان عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب، رضى الله عنه،

قال: إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ﴾ [النساء: ١١]

وإن رسول الله (ﷺ) قضى بالدين قبل الوصية^(١).

للعلماء فيها خمسة أقوال، منها: (قدم وبدأ بالذى لا بد منه وهو الوصية، فلا بد من الوصية لمن كان له شيء يوصى به كما في الحديث، ثم آخر ما قد يكون أو لا يكون، فليس كل ميت يكون عليه دين، ولكن لا بد له من وصية، لذلك عطف هنا بحرف (أو) ولم يعطف (بالواو)^(٢)).

٢- الآية (٣٤) عندما ذكر فيها سبحانه:

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ (النساء - ﴿٣٤﴾)

ثم ذكر مراحل التدرج في التأديب للزوجة الناشز، فلكي لا يستعلى أحد ويتجبر ويتكبر على زوجه بغياً وظلماً، وليتذكر أن الله له بالمرصاد، فحسن أن يختم الله الآية بصفتين من صفاته العلى سبحانه

(١) شرح البخارى لابن بطال (ج ٨ / ص ٣٣٩)

(٢) تفسير القرطبي (ج ٥ / ٧٣)

(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ النساء - ﴿٢٤﴾

النساء / التوبة

* - قوله: ﴿فَقَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..﴾ التوبة - ﴿٢٩﴾

هذا المقطع: ﴿وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ..﴾ - لم يأت إلا في موضعين في القرآن - النساء / التوبة -.

(١) القرطبي بتصرف كثير (ج ٥/ ١٧٣)

سورة المائدة

١- نهاية الآية (٥) في المائدة: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي

الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (المائدة - ٥)

ما الحكمة من هذا التذييل للآية:

(ومن يكفر بالإيمان)، أى يكفر بما نزل على محمد، ذلك أن نساء أهل الكتاب عندما نزلت الآية قلن لولا أن الله ارتضى ديننا لما أحل لكم الزواج منا، فترلت^(١).

٢- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة - ٥٨)

هى الوحيدة التى ذكر فيها الأذان على إطلاقه، أما آية سورة الجمعة ففيها التخصيص، وهو

قوله سبحانه^(٢): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة

- (٦)

(١) تفسير القرطبي (ج ٦/ ٧٩).

(٢) تفسير القرطبي (ج ٦/ ٣٠).

٣- السر في رقم أربعين:

قوله: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ^ثأَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا

تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ المائدة - ﴿١٦﴾

إذا تأملت هذه الآية وإلى جوارها قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ ^{هـ}أَشُدُّهُ وَبَلَغَ ^وأَرْبَعِينَ

سَنَةً...﴾ الأحقاف - ﴿٥٠﴾

فما الحكمة من أن الله سبحانه كتب عليهم التيه في الصحراء أربعين سنة).

قيل والله أعلم:-

حتى يكون آخر رجل في العهد القديم - الذين عصوا موسى فأدخلهم الله التيه - يكون قد

مات في التيه، وولد جيل جديد تربى لمدة أربعين عاما وهو السن الذي قال الله فيه: ﴿...حَتَّىٰ إِذَا

بَلَغَ ^{هـ}أَشُدُّهُ وَبَلَغَ ^وأَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأحقاف - ﴿٥٠﴾، يكون هذا الجيل قد تربى تربية إيمانية

ربانية على يد يوشع غلام نبي الله موسى فيدخلون الأرض المقدسة.

سورة المائدة /النور

*- قوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنْ

اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة - ﴿٢٨﴾

و قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ النور - ﴿٢٤﴾

قدم الرجل في السرقة وقدم المرأة في الزنا^(١) ؛ لأن المكلف بتوفير المعيشة والسعى هو الرجل،

لذلك قال الله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ طه - ﴿١٧﴾. ولم يقل **فتشقى**.

أما مبدأ الغواية الذي يؤدي إلى الوقوع في الفاحشة فغالباً ما يكون مبدأه المرأة، لذلك قال:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ النور-٢.

المائدة / الحشر

قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ جاءت في موضعين لا ثالث لهما:

الموضع الأول: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ

وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ المائدة - ﴿٨٠﴾

الموضع الثاني: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾

الحشر - ﴿١٠٠﴾

(١) هذه النظرة لها شاهد قريب في المعنى أورده ابن جماعة في كتابه- كشف المعاني في التشابه من اللغات- (ج ١/ص ٢٧٠).

قلت والله أعلم:

ومعلوم أن أول من يدخل النار من البشر هو قابيل، وجاء قبلها ذكر الشيطان: ﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ﴾، ثم قال: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ الحشر - ٤

وهو أول من حقت فيه النار - أو من أوائل من سخط الله عليه - والله أعلم، لأنه إن صح ما ورد في الإسرائيليات (قال الله تعالى لموسى عليه السلام فيما أوحى إليه: يا موسى، إن أول من مات من خلقي إبليس لعنه الله لأنه عصاني، وإني أعد من عصاني في الموتى)^(١).

سورة المائدة/فصلت

لعل سائلاً أن يسأل عن قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

المائدة - ٣ يدل على أن الدين كان غير كامل في وقت من الأوقات، وذلك يوجب أن يكون جميع من مات من المهاجرين والأنصار والذين شهدوا بدرًا والحديبية وبايعوا رسول الله (ﷺ) البيعتين جميعاً، وبذلوا أنفسهم لله مع عظيم ما حل بهم من أنواع الحن ماتوا على دين ناقص، وأن رسول الله (ﷺ) في ذلك كان يدعو الناس إلى دين ناقص، ومعلوم أن النقص عيب، ودين الله تعالى قيم، كما

(١) تفسير التستري لأبي محمد سهل بن عبد الله التستري، (ج ١/ص ١٧٢).

قال تعالى: ﴿دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ (الأنعام - ١٦٦)؟

فالجواب أن يقال له: لَمْ قلت إن كل نقص فهو عيب وما دليلك عليه؟ ثم يقال له: أرايت نقصان الشهر هل كان عيباً؟ ونقصان صلاة المسافر أهو عيب لها؟ ونقصان العمر الذي أراده الله بقوله: ﴿وَمَا يَعْمرُّ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

يَسِيرٌ ﴿فاطر - ١١﴾، أهو عيب له؟ ونقصان أيام الحيض عن المعهود، ونقصان أيام الحمل، ونقصان المال بسرقة أو حريق أو غرق إذا لم يفتقر صاحبه؟ فلم أنكرت أن نقصان أجزاء الدين في الشرع قبل أن تلحق به الأجزاء الباقية في علم الله تعالى هذه ليست بشين ولا عيب، وما أنكرت أن معنى قول الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ يخرج على وجهين: أحدهما - أن يكون المراد بلغته أقصى

الحد الذي كان له عندي فيما قضيته وقدرته، وذلك لا يوجب أن يكون ما قبل ذلك ناقصاً نقصان عيب، لكنه يوصف بنقصان، مقيد فيقال له: إنه كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه ملحقه به وضامه إليه، كالرجل يبلغه الله مائة سنة فيقال: أكمل الله عمره، ولا يجب عن ذلك أن يكون عمره حين كان ابن ستين كان ناقصاً نقص قصور وخلل، فقد رُوِيَ عن أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: (من عمره الله ستين سنة فقد أعذر إليه في العمر) ^(١). ولكنه يجوز أن يوصف بنقصان مقيد فيقال: كان ناقصاً عما كان عند الله تعالى أنه مبلغه إياه ومعمره إليه، وقد بلغ الله بالظهر والعصر والعشاء أربع ركعات، فلو قيل: عند ذلك أكملها لكان الكلام صحيحاً، ولا يجب عن ذلك أنها كانت حين كانت ركعتين ناقصة نقص قصور وخلل، ولو قيل: كانت ناقصة عما عند الله أنه ضامه إليها وزائده عليها لكان ذلك صحيحاً، فهكذا، هذا في شرائع الإسلام وما كان شرع منها شيئاً فشيئاً

(١) السنن الكبرى، للبيهقي (ج ٣/ص ٣٧٠).

إلى أن أُنهي الله الدين منتهاه الذي كان له عنده، والله أعلم.

والوجه الآخر: أنه أراد بقوله: **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»** أنه وفقهم للحج الذي لم يكن بقي عليهم من أركان الدين غيره، فحجوا، فاستجمع لهم الدين أداءً لأركانه وقياماً بفرائضه، وذلك لحديث النبي (ﷺ) الذي رواه ابن عمر: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان)^(١)، وقد كانوا تَشْهَدُوا وصلوا وزكوا وصاموا وجاهدوا واعتمروا ولم يكونوا حجوا، فلما حجوا ذلك اليوم مع النبي (ﷺ) أنزل الله تعالى وهم بالموقف عشية عرفة **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ**

نِعْمَتِي» المائدة - (٢)، فإنما أراد أكمل وضعه لهم، وفي ذلك دلالة على أن الطاعات كلها دين وإيمان وإسلام. اهـ - (٢).

قلت والله أعلم:- بقياس قوله سبحانه: **«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»** المائدة -

٣، في مقابل قوله: **«سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»** فصلت - (١).

بقياس التعبير بالماضي التام (أكملت) والذي يفيد أن الدين قد تم فلا زيادة إلا في فروع منها - تغير الفتوى بالمكان والزمان وحال المستفتي - (وفي ذلك تفصيل لأهل الفقه) ولا خلاف على أن الأصول قد تمت، أما الكلام عن الآيات في الآفاق فقد عبر الله فيها بقوله: (سنريهم) تفيد الاستمرارية، فالعلوم الحياتية (ولا يستقيم التعبير عنها بالذنبوية)

(١) صحيح البخارى (ج ١/ص ١٢)

(٢) تفسير القرطبي (ج ٦/٦٣).

(١) فإننا نجد أنه في كل يوم جديد في أمرها.

سورة الأنعام

١- ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ

وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المائدة - ٥١

الحديث هنا عن قوم مؤمنين، لذلك لم يأت بالمبالغة فلم يقل: (من ولي)، بل قال مباشرة: ﴿

لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ...﴾

٢- ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا

مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ المائدة - ١٣

ذكر فضيلة الإمام الشعراوي أن علم النفس قد جاء في هذه الآية فقال:

لكن هناك من يصغي ويرضى وجدانه ويستريح لما يسمع، ثم يترع للعمل ليقترف الإثم.

وهذه ثلاث مراحل: الأولى هي: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ﴾.

(١) د. راغب السرجاني (سلسلة العلم).

ثم المرحلة الثانية:

{وَلَيْرِضْوَةٌ}، ثم المرحلة الأخيرة: **{وَلَيَقْتَرِفُوا}** أي يرتكبوا الإثم، وهذه المسألة حددت لنا المظاهر الشعورية التي درسها علماء النفس، فالإدراك: «لتصغى»: والوجدان: «ليرضوه»، والتزوع: «ليقترفوا».

وقبل أن يولد علم النفس جاء القرآن بوصف الطبيعة البشرية بمراحلها المختلفة من إدراك ووجدان، ونزوع^(١).

وذكر فضيلة الإمام الشعراوي تفسيراً مطولاً بإسهاب رائع أنصح بالرجوع إليه.

سورة الأعراف

قصة نوح

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأعراف - ﴿٥٩﴾

هذه السورة فقط جاء قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بدون (الواو)، لأن هذا أول ذكر لنوح،

فلا يوجد ما يعطف عليه^(٢).

*-قوله: ﴿يَتَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف

(١) خواطر الشعراوي (ج ٧/ص ٣٨٨٤).

(٢) له نظير قريب من هذا المعنى ذكره ابن جماعة صاحب: كتاب كشف المعاني في المتشابه من

المثاني (ج ١/ص ١٧٧).

لم يقل: (ضلال) كما قالوا؛ لأن الضلالة أخص من الضلال، فكانت أبلغ في نفى الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال، ثم استدرك لتأكيد نفى الضلالة فقال: ﴿وَلَيْكِنِّي

رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١)

*- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

الأعراف - ﴿٣٢﴾

فيها مسألان:

١- قال هنا: (أَنْصَحُ) أما في قصة هود قال: (ناصح) على وزن فاعل وذلك لمقابلة قول قومه:

(من الكاذبين) على وزن فاعلين لمقابلة اسم الفاعل بالاسم^(٢).

٢- عبر بالجمع فقال: (رسالات) لأن قبله إدريس وشيث^(٣).

*- قوله سبحانه: ﴿أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ

لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ **وَالَّذِينَ مَعَهُ** فِي

الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾

(١) تفسير مدارك التبريل وحقائق التأويل للنسفي (ج ١/ص ٣٧٤).

(٢) ذكر صاحب كتاب ملاك التأويل كلاماً قريب من ذلك (ج ١/ص ٢٨٧).

(٣) روح البيان (ج ٣/ص ١٣٩).

الأعراف - ﴿٦٤﴾.

قلت والله أعلم:

و الذين معه: تفيد العدد الأقل من قوله - **ومن معه** - في يونس، لذلك زاد في يونس - **وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ.**

قصة هود

*- ﴿وَالِىٰٓ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ

أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الأعراف - ﴿٦٥﴾

في قصة نوح قال: **(فَقَالَ)**، أما مع هود فلم يأت بالفاء؛ لأن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه وغير مؤخر لجواب شبهتهم لحظة واحدة، وهود لم يكن مبالغاً لهذا الحد^(١).

*- قوله: ﴿.. وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿٧٢﴾

عطف على قوله: ﴿كَذَّبُوا﴾ في الآية ٦٤

﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ الأعراف - ﴿٦٤﴾

وفائدة هذا النفي عند **الزمخشري** التعريض لمن آمن منهم، وبيانه كما قال **الطبري**: (إذا سمع المؤمنون أن الهلاك اختص بالمكذبين وعلموا أن نجاحهم في الإيمان، ازدادت رغبتهم فيه)^(٢).

(١) تفسير الألوسي (ج ٤/ص ٣٩٢).

(٢) روح المعاني (ج ٤/ص ٣٩٧).

* ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الأعراف - ﴿٧٢﴾

سر تقدم الإنجاء على الإهلاك - كما قال **محمد بن إسحاق والسدي** - أنهم فشوا في الأرض كلها وقهروا أهلها، ولما جاءهم هود كذبوه وازدادوا طغياناً وتجبراً^(١).

* قوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ الأعراف - ﴿٧٨﴾

قال **النيسابوري** وكذلك **الشعراوي**: الصيحة من السماء، فهي أقوى في الانتشار من الرجفة التي هي من الأرض، لذلك قرن بين (الصيحة/ديارهم) (الرجفة/دارهم). وقال الكرماني: (وحد الدار وحيث ذكر الصيحة جمع، لأن الصيحة من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة، فاتصل كل واحد بما هو لائق به)^(٢).

قصة لوط

* قال سبحانه في الأعراف: ﴿...بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ... ﴿٨٢﴾

- أما في النمل فقال: ﴿...بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ فَمَا كَانَ... ﴿٩١﴾

- عبر في الأعراف بالاسمية وفي النمل بالفعلية، حتى تتناسب مع رءوس الآيات^(٣).

وقيل: في الأعراف عندما قال: ﴿مُّسْرِفُونَ﴾ عقب عليها في الآية التي تليها **بالواو** لأن التعقيب

(١) تفسير الطبري (ج ٢٢/١٢٣)، ولكنني أشكّل عليّ هذا الأمر وكيف يتفق مع قول الله في الشعراء في الآية ١٣٩: (فكذبوه فأهلكناهم).

(٢) كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ٦٣).

(٣) المرجع السابق، كتاب البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ٦٤).

على الاسم بالواو يحسن عن الفاء في النمل عندما قال: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ عقب عليها بالفاء في الآية التي تليها، لأن التعقيب على الفعل بالفاء يحسن عن الواو.

* - قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ

قَرَيَاتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف - ﴿٨٧﴾

وقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ

قَرَيَاتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (النمل - ﴿٨٥﴾)

قال النيسابوري: لأن النمل نزلت قبل الأعراف فصرح في الأولى (النمل) وكُنِيَ في الثانية (الأعراف).

قصة مدين

*-قوله تعالى: ﴿..قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَآوُوا إِلَيْكُمْ..﴾ (الأعراف-﴿٨٥﴾).

لم يذكر معجزته في الكتاب، ومن قال: إنه ليس له معجزة فقد أخطأ، لأن الفاء هنا تدل على ترتيب الأمر بناء، على مجيء بيينة أي أنه أمرهم بما سبق بعد أن أتاهم بمعجزة.

قال العلامة **الرازي**:

(واعلم أنه تعالى حكى عن شعيب أنه أمر قومه في هذه الآية بأشياء؛ الأول: أنه أمرهم بعبادة

الله ونهاهم عن عبادة غير الله، وهذا أصل معتبر في شرائع جميع الأنبياء فقال: ﴿...يَلْقَوْمِ

أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾

والثاني: أنه ادعى النبوة فقال: (قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ) ويجب أن يكون المراد من البينة

ها هنا المعجزة؛ لأنه لا بد لمُدعي النبوة منها، وإلا لكان متنبئاً لا نبياً، فهذه الآية دلت على

أنه حصلت له معجزة دالة على صدقه، فأما أن تلك المعجزة من أى الأنواع كانت فليس في

القرآن دلالة، عليه كما لم يحصل في القرآن الدلالة على كثير من معجزات رسولنا^(١)

* - قوله: ﴿وَأِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ

أَدْعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ (الأعراف - ﴿١٢٣﴾)

قال العلامة **ابن عاشور**:

(أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ) مُعَادِلَ (أَدْعَوْتُمُوهُمْ) مَعَ اخْتِلَافِ الْأَسْلُوبِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ بِالْفِعْلِيَّةِ

وَالِاسْمِيَّةِ، فَلَمْ يَقُلْ: أَمْ صَمْتُمْ، فَفِي «تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِيِّ»، عَنْ ثَعْلَبٍ: أَنَّ ذَلِكَ لِأَنَّهُ رَأْسُ آيَةٍ (أَيُّ

لِمُجَرَّدِ الرَّعَايَةِ عَلَى الْفَاصِلَةِ) قَالَ: وَصَامِتُونَ وَصَمْتُمْ عِنْدَ سَبْيَوِيهِ وَاحِدٌ^(٢).

وقال **فضيلة الإمام الشعراوي** رحمه الله تفسيراً مفصلاً ومبسّطاً عن ذلك^(٣):

كانوا في الجاهلية حين يفرغهم أمر جسيم ينادوهم ويقولون: يا هبل، يا لات، يا عزي، وإن لم

(١) مفاتيح الغيب، للعلامة فخر الدين الرازي (ج ١٤/ص ١٤١).

(٢) التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور (ج ٩/ص ٢١٩).

(٣) خواطر الشعراوي، (ج ٧/ص ٤٣٣٢).

يصبهم أمر سكتوا عن نداء الأصنام، لذلك يقول لهم الله من خلال الوحي لرسوله (ﷺ) **﴿وَأِنْ**

تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

صَمِتُونَ﴾ (الأعراف - ١٢٢).

أى إن دعوتكم لهم لا تفيد في أى أمر تماماً كصمتكم.

ونلاحظ أن الأسلوب هنا مختلف **﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾** فلم يقل: «أدعوتوهم أم

صمتتم»؛ لأن الفعل يقتضى الحدوث، ولنا أن نعرف أنهم كانوا لا يفزعون إلى آلهتهم إلا عند

الأحداث الجسام أما بقية الوقت فقد كانوا لا يكلمونهم أبداً، لذلك جاءت **«صَمِتُونَ»**

لازمة، لأنها اسم، والاسم يقتضى الثبوت والاستمرار، أما الفعل فيقتضى الحدوث والتجدد^(١).

***-قوله: «... يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** (الأعراف - ١٢٨)، **﴿يُبْصِرُونَ﴾**

جاءت لأن المشركين صوروا التمثال وله رجلان وله أذنان وله عينان، ويضعون في مكان كل عين

خرزة لتكون مثل حدقة العين، وحين ينظر إنسان منهم إلى التمثال يخيل إليه أن التمثال ينظر إليه^(٢)،

ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: **﴿... يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾** (الأعراف -

(١) خواطر الشعراوي، (ج ٨/ص ٤٥٢٢).

(٢) خواطر الشعراوي، (ج ٨/ص ٤٥٢٥).

قصة موسى

*- قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا

بِهَا ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ الأعراف - ﴿١٢٣﴾ لأن موسى جاء بعد

شعيب بزمان، ومعلوم أن (ثم) تفيد الترتيب على التراخي^(١)

* قوله: ﴿.. قَالُوا إِنَّا لَنَّا لِأَجْرٍ إِن كُنَّا خُنَّا الْغُلِيلِينَ﴾ الأعراف - ﴿١٢٣﴾

وجاء في ثمانية مواضع أخرى بصيغة الاستفهام، قيل: إن السحرة تفاوتوا في انفعالهم مع

الحدث؛ فalcوى منهم قال على سبيل التأكيد: ﴿إِنَّا لَنَّا﴾ أي يشترط الأجر، أما الآخرون ممن

يخشون فرعون فقالوا بنوع الاستفهام: ﴿إِنَّا لَنَّا لِأَجْرٍ إِن كُنَّا خُنَّا الْغُلِيلِينَ﴾ - ﴿١٢٣﴾

قال العلامة **فخر الدين الرازي**: وقيل أيضاً: المراد أن السحرة أثبتوا لأنفسهم أجراً عظيماً

لأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر، والتنكير للتعظيم كقول العرب: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً؛ يقصدون الكثرة^(٢)

*- ﴿فَأَنْبَجَسَتْ﴾ - الأعراف - ١٦٠، وفي البقرة: ﴿فَأَنْفَجَرَتْ﴾ البقرة - ٦٠

قال العلامة **فخر الدين الرازي**:

فيه ثلاث مسائل: الأولى: الانبجاس اسم للشق الضيق القليل، فهما مختلفان اختلاف العام والخاص

فلا يتناقضان، وثانيها: لعله انبجس أولاً ثم انفجر ثانياً وكذا العيون يظهر الماء منها قليلاً ثم يكثر

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (ج ٩/ص ٣٤).

(٢) مفاتيح الغيب، للرازي (ج ١٤/ص ١٦٤).

للدوام خروجه، وثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشد إلى الماء فينفجر أى يخرج الماء كثيراً، ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس، أي يخرج قليلاً^(١).

* - قال سبحانه في موضع الأعراف: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿اسْكُنُوا قَرْيَهَا بِالْوَاوِ - واكلوا - ولم يذكر رغداً):

أما في موضع سورة البقرة قال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿ادخلوا) قَرْيَهَا بالفاء (فكلوا)، وأيضاً ذكر معها (رغداً) وفي موضع آخر يقول: ﴿رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة - ﴿وهنا الحديث عن آدم.

فيها ثلاث مسائل:

قيل والله أعلم:

أ - في آية البقرة يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ البقرة - ٥٨، والكلام عن بني إسرائيل، وفي آية أخرى في البقرة أيضاً يقول: ﴿رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ البقرة - ٢٥٦، والحديث عن آدم وزوجه.

(١) مفاتيح الغيب، للرازي (ج ٣/ص ٨٩).

الفرق في المعنى أن قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ تدل على أن هناك أصنافاً كثيرة من الطعام.

﴿رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ يكون هناك صنف واحد والناس جائعون، فيقبلون على الطعام. عندما يقول الحق جل جلاله: كلوا رغداً يكون المخاطب هنا نوعان: إنسان غير جائع ولذلك تعد له ألوانا متعددة من الطعام لتغريه بالأكل.. فتقدم في هذه الحالة «حيث شئتم» فيقال: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾.. فإذا كان الإنسان جوعان فهو يرضى بأي طعام.. فيقال: (رغداً حيث شئتم).
إن المسألة في القرآن الكريم ليست تقديماً وتأخيراً في الألفاظ.. ولكن المعنى لا يستقيم بدون هذا التغيير.

ب- قيل أيضاً: يقول الحق هنا في سورة الأعراف: ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾، وفي آية سورة البقرة يقول: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾.

وحين أمرهم الله بالدخول وكانوا جوعى أمرهم الحق أن يأكلوا، على الفور والتو بتوسع، لذلك أتى بكلمة «رغداً»؛ لأن حاجتهم إلى الطعام شديدة وملحة، لكنه بعد أن أمرهم بالسكن أوضح لهم أن يأكلوا؛ لأن السكن يحقق الاستقرار ويتيح للإنسان أن يأكل في راحة وتأن، وقال الحق هنا في سورة الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا آلْبَابَ سُجَّدًا﴾ الأعراف - ﴿١١٦﴾، أي أنه قدم قولهم:

«حطة» على السجود، وفي آية سورة البقرة قدم السجود فقال: ﴿وَادْخُلُوا آلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً...﴾ [البقرة: ٥٨].

جاء الحق بهذا الاختلاف لأنه علم أن انفعالات السامعين تختلف ساعة الدخول، فهناك من يفعل للقول، فيقول أول دخوله ما أمر به من طلب الحطة وغفران الذنب من الله، وهناك آخر يفعل للفعل فيسجد من فور الدخول تنفيذاً لأمر الله^(١).

ج- في آية سورة البقرة يقول سبحانه:

﴿أَدْخُلُوا﴾ وفي آية سورة الأعراف يقول: ﴿أَسْكُنُوا﴾، ونعلم أن الدخول يكون لغاية وهي السكن، أي ادخلوا لتسكنوا، وأوضح ذلك بقوله في سورة الأعراف: {اسكنوا} ليبين أن دخولهم ليس للمرور بل للإقامة، وأراد سبحانه أن يعطيهم الغاية النهائية؛ لأنه لا يسكن أحد في القرية إلا إذا دخلها، وهكذا نرى أن كلمات القرآن لا تأتي للتكرار، بل للتأسيس وللإتيان بمعنى جديد يوضح ويبين ويشرح^(٢).

د - قال الحق هنا في سورة الأعراف:

﴿نَغْفِرْ خَطِيئَتِكُمْ لَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف - ﴿م﴾

وفي سورة البقرة يقول: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة -

ونعلم أن صيغة الجمع تختلف؛ فهناك «جمع تكسير» وجمع تأنيث، ففي جمع التكسير نغير من ترتيب حروف الكلمة، مثل قولنا «قفل» فنقول في جمعها: «أقفال». أما في جمع التأنيث فنحن نزيد على الكلمة ألفاً وتاء بعد حذف ما قد يوجد في المفرد من علامة تأنيث، مثل قولنا: «فاطمة»، و«فاطمات»، و«أكلة»، و«أكلات» وهذا جمع مؤنث سالم، أي ترتيب حروفه لم يتغير، وجمع المؤنث السالم يدل على القلة، لكن جمع التكسير يدل على الكثرة، فجاء- سبحانه- بجمع المؤنث السالم الذي يدل على القلة ويجمع التكسير الذي يدل على الكثرة لاختلاف درجات ونسب الخطايا؛

(١) خواطر الشعراوى (ج ٧/ص ٤٤٠).

(٢) خواطر الشعراوى (ج ٧/ص ٤٤٠).

لأن المخاطبين غير متساوين في الخطايا، فهناك من ارتكب أخطاء كثيرة، وهناك من أخطأ قليلاً، والاختلاف حدث أيضاً في عجز الآيتين، فقال في سورة البقرة: ﴿وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وجاء

عجز سورة الأعراف بدون «واو» فقال: ﴿سَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ا.هـ. (١)

قلت والله أعلم:

الدخول يكون ابتداءً وفيه السرعة، فجاء معه **(فكلوا بالفاء)** التي تفيد السرعة — ولذلك تجد أنه هنا أمرهم بالدخول قبل **(قولوا حطة)** اتفاقاً مع سياق الحديث من حيث السرعة. أما **السكون** ففيه الاستمرار، ولذلك قرن الفعل **بالواو، (وكلوا)** التي لا تشترط السرعة مثل الواو، ولذلك حسن أن يقدم **(قولوا حطة)** على أمر **الدخول**.

* - جاء بكلمة **(رغداً)** في البقرة: -

لأن ذكر الزيادة في المنة أبلغ في التوبيخ وسياق الآيات قبلها توبيخ لهم.

(١) خواطر الشعراوي (ج ٧/ص ٤٤٠٢)

سورة التوبة

١- قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾ التوبة - ﴿٢﴾

وقوله: ﴿...فَاعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة -

﴿٢﴾ في الأولى جاء ذكر المكان والزمان (في الأرض / أربعة أشهر) وعبر بالواو (...واعلموا).

في الثانية جاء ذكر الزمان ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ عبر بالفاء (فاعلموا).

فاعلم أنه ليس بتكرار، وقد تكون الفاء في الثانية مناسبة لكلمة (يوم) وفي الأولى الواو مناسبة

لقوله: (أربعة أشهر)، لأن الفاء أحياناً قد تفيد السرعة والواو تفيد التراخي (١).

٢- قوله: ﴿... فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ

اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة - ﴿١٠﴾).

وقوله: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ فِي الدِّينِ

وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة - ﴿١١﴾).

المراد بالأولى المشركون؛ لسابق ذكرهم في الآية نفسها وما سبق من آيات.

والمراد بالثانية اليهود لذكره في الآية رقم (٩): ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني التوراة.

٣- قوله: ﴿قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ

(١) البرهان، للكرمانى، بتصرف كثير (ص ٧٣).

وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ

اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ (التوبة - ﴿١٥﴾).

(قاتلوهم): فعل أمر جوابه الخمسة أفعال بعده (يُعَذِّبُهُمْ/يُخْزِيهِمْ/يَنْصُرُكُمْ / يشف /

يُذْهِبُ) لاحظ أن هذه الأفعال كلها مجزومة، لأنها في جواب الطلب - وعلامة جزمها السكون أو حذف حرف العلة.

وهناك مسألتان:

الأولى: ما الحكمة من مجيء كلمة (وَيَتُوبُ) مرفوعة ولم تجزم؟ وما الحكمة من تذييل الآية بقوله:

﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾...؟

جوابه:

كلمة (وَيَتُوبُ) مرفوعة ولم تجزم لأن حرف الواو هنا يعمل **عمل واو الاستئناف** لا واو العطف وهذا بداية كلام جديد غير متعلق بما قبله معنى ولا لفظاً، لأن قتلهم لا يلزم التوبة عليهم، وإنما يلزم الخمسة أفعال بعده: (يُعَذِّبُهُمْ/يُخْزِيهِمْ/يَنْصُرُكُمْ / يشف / يُذْهِبُ).

الثانية: التذييل بِحُمْلَةٍ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) لإفادَةِ أَنَّ اللَّهَ يُعَامِلُ النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ نِيَّاتِهِمْ، وَأَنَّهُ **حَكِيمٌ** لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِمَا فِيهِ تَحْقِيقُ الْحِكْمَةِ، فَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ امْتِنَالُ أَوَامِرِهِ، وَأَنَّهُ يَقْبَلُ تَوْبَةَ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ تَكْتِيراً لِلصَّلَاحِ ^(١).

٤- قوله: ﴿وَأَخْرُوجْهُمْ مَّرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ

عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة - ﴿١٦﴾).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور - بتصرف - (ج ١٠/ص ١٣٧).

هذا هو الموضوع الثاني في السورة الذي ذكر في نهاية الآية التوبة مقرونة باسم الله (عَلِيمٌ)

حَكِيمٌ).

قال القشيري:

(لم يصرّح بقبول توبتهم، ولم يَسْمُهُم باليأس من غفرانه، فوقفوا على قدم الخجل، متميلين بين الرهبة والرغبة، مترددين بين الخوف والرجاء. أخبر الله - سبحانه - أنه إن عذّبهم فلا اعتراض يتوجّه عليه، وإن رحمهم فلا سبيل لأحد إليه، قال بعضهم: ويشـبـعـنى من الآمال وعد ومن علمى بتقصيري وعيد^(١) اهـ.

قيل أيضاً: لأنه هنا قال: ﴿مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ فأجل الحكم عليهم وذكر كلمة (يُعَذِّبُهُمْ)

قبل التوبة فحسن الختام بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

هـ- قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ - (التوبة - ٨٩). بدون كلمة (أَبَدًا). وقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ

الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة - ١٠٠). بزيادة كلمة - (أَبَدًا).

(١) لطائف الإشارات، للقشيري (ج ٢/ص ٦١).

قلت:

الموضع الثاني ذكر فيه (المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ) وقد يكون من أجل ذلك جاء قوله: (أبداً)؛ زيادة في الثناء عليهم، والله أعلم^(١).

٦- مسألة:

إذا سألت أحداً: هل الجهاد بالمال أشد أم الجهاد بالنفس؟.. كل الناس تقريباً سيقولون الجهاد بالنفس أصعب وأشق.

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ..﴾ (التوبة-٢٤).

إذا تتبعنا الجهاد بالمال والنفس في القرآن ستجد أنه قد ذكر **تسع** مرات، **خمس** مرات في التوبة وقبلها النساء والأنفال وبعدها الحجرات والصف.

في كل هذه المواضع تقدم **المال** على الجهاد، إلا في موضع واحد في القرآن:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ..﴾ (التوبة-١١).

فاللَّهُ لا يعنيه النفس ولا المال^(٢).

٨- قوله: ﴿..يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة - ٢٩) فائدة إضافية

(وهم) أن حالهم دائماً هو الصغار ولا يؤدون الزكاة ولا تقبل منهم إلا وهم في حالة من الصغار فهي حال وليست خيراً^(٣).

(١) هذه الناطرة لها شاهد من كتاب الاعتقاد والهداية للبيهقي - وضح فضلهم وفصل في الثناء عليهم - تحت عنوان: (القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ج ١/ص ٣١٧).

(٢) د. راغب السرجاني، في محاضرة الجهاد بالمال.

(٣) ذكرها القرطبي في تفسيره وأسهب فيها (ج ٨/ص ١١٥).

٩ - مسألة:

قوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة - ٣١).

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ - (٨) - (الصف).

قال العلامة ابن عاشور:

وحجى بهذا التركيب في سورة التوبة لشدة محاكاة أهل الكتاب وتصلبهم في دينهم، ولم يحأ به في سورة الصف [٨] إذ قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾؛ لأن المنافقين كانوا يكيدون للمسلمين خفية وفي لين وتملق^(١)

١٠ - مسألة:

قوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

(١) التحرير والتنوير (ج ١٠/ص ٧٣).

الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى **وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا** وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ - (التوبة ٤٠).

ما الحكمة من ذكر كلمة (هى) مع قوله: (كلمة الله)، ولم يذكرها سبحانه مع قوله: ﴿...﴾.

كَلِمَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا؟

إن (كلمة) الأولى مفعول به، أما الثانية فلو قال: (كلمة) بالفتح تصبح كأنها مفعول به وكأنها مرتبطة بالفعل جعل - أي كأنها لم تكن العليا ثم جعلها الله العليا - وهذا لا يستقيم، فكلمة الله دائماً وأبداً العليا، لذلك جاءت خبرية مرفوعة.

قال فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله:

لم يقل: وجعل كلمة الله هى العليا؛ لأنها ليست جَعْلًا لأن الجَعْلَ تحويل شيء إلى شيء، أما كلمة الله فهي العليا بداية ودائماً، وإن علت كلمة الباطل إلى حين^(١).

وقال إسماعيل حقي الإستانبولي:

{وَكَلِمَةُ اللَّهِ} أي: التوحيد أو الدعوة إلى الإسلام، وهي بالرفع على الابتداء {هى} ضمير فصل لدفع توهم أنه قد يفوق غير كلمة الله {الْعُلْيَا} إلى يوم القيامة، وهو خبر المبتدأ، وجعل الله ذلك بأن أخرج رسوله من بين الكفر.

وقرأ يعقوب (كلمة الله) بالنصب عطفًا على كلمة (الذين) - هو ضعيف - لأنه يشعر بأن كلمة الله كانت سفلى ثم صارت عليا وليس كذلك، بل هى عالية في نفسها أبداً. وفي "مناظرات المكي" لو قال أحد: «وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله» وقطع ولم يقل: (وكلمة الله هى العليا) كان كافراً إن كان عمداً (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) في أمره وتدبيره وحكمه^(٢).

١١ - مسألة:

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٨/ص ١٣٠٩).

(٢) تفسير روح البيان (ج ٢/ص ٣٣١).

قوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ (التوبة - ٤٣):

فهذا التعبير غاية في الجمال والروعة لعتاب الحبيب لحبيبه، كما جاء في بعض التفاسير، فقدّم العفو أولاً وقرّره^(١).

وإن كان هناك قول آخر (عفى بمعنى سكت^(٢))، أى إن الله سكت عن إظهار الحكم عليهم ووكله للنبي، وفي هذا الأمر تفصيل، والله أعلم بمراده.

١٢ - مسألة:

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾ (التوبة - ٥٤) فلا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة - ٥٥).

وقوله: ﴿وَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة - ٥٥):

(١) خواطر الشعراوي، بتصرف (ج ١٤ / ص ٨٨٦٩).

(٢) هذا القول له شاهد من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذى رواه سلمان: (الحلال ما أحل

الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو مما عفا عنه) - الجامع الصحيح

سنن الترمذي (ج ٤/ ص ٢٢٠)، وحسنه الألباني.

في الموضع الثاني آية (٨٥) يتحدث عن قوم قد ماتوا لقوله في الآية (٨٤) قبلها: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ

فَسِقُونَ﴾ (التوبة - ﴿٨٤﴾)، ولا يوجد استمرار لعملهم، فالآية (٨٥) غير متعلقة بالآية

(٨٤)، فحسن استخدام (الواو).

وهذا خلاف الموضع الأول الآيتين (٥٤/٥٥)، فالكلام عن قوم أحياء لقوله:

(وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ) وَلَا يُنْفِقُونَ لذلك حسن التعقيب (بالفاء)^(١).

١٣- مسألة: قوله: ﴿...سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة - ﴿٩٠﴾).

الوحيدة في القرآن بهذا السياق غير مقرونة بقوله: (وتعالى) أو (سبحان الله).

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله:

(هذه الآية فيها التنصيص الصريح على أن كفار أهل الكتاب مشركون بدليل قوله فيهم:

(سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ)، بعد أن بين وجوه شركهم)^(٢).

١٤- مسألة: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى

بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا

كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة - ﴿٣٥﴾)

ما الحكمة من أن الله خص هذه الأماكن بالعذاب...؟

لأن كل جارحة من هذه الجوارح لها مدخل في عدم إنفاق المال في سبيل الله، كيف؟ مثلاً: تجدون

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثنى لابن جماعة (ج ١/ص ١٩٦).

(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - للشنقيطي (ج ١/ص ١١١).

الوجه هو أداة المواجهة، وإذا رأيت إنساناً فقيراً متجهاً إليك ليطلب صدقة، وأنت تعرف أنه فقير وقد جاءك لحاجته الشديدة، فإن كان أول ما تفعله حتى لا تؤدي حق الله أن تشيع بوجهك عنه، أو تعبس ويظهر على وجهك الغضب، فإن هذا الفقير يحس بالمهانة والذلة؛ لأن الغنى قد تركه وابتعد عنه، فإذا لم تنفع إشاحة الوجه واستمر الفقير في تقدمه من الغنى، فإنه يعرض عنه بأن يدير له جنبه ليحس بعدم الرضا، فإذا استمر الفقير واقفاً بجانبه فإنه يعطي له ظهره.

إذن، فالجوارح الثلاث قد تشترك في منع الإنفاق في سبيل الله، وهي: الوجه الذي أداره بعيداً، ثم أعطاه جانبه، ثم أعطاه ظهره. هذه هي الجوارح الثلاث التي تشترك في منع حق الله عن الفقير، ولذلك لا بد أن تُعذَّب فتكوى الجباه والجنوب والظهر^(١).

(١) خواطر الشعراوي (ج ٨/ص ٥٠٦٩)

بعض اللطائف والفوائد ومسايل خاصة بالتجويد في السورة:

مسألان في التفخيم والترقيق:

الأولى: قوله: ﴿...وَهُمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ (التوبة - ١٢٠)، كلمة (إِخْرَاجِ) من المعتاد أن

ينطقها القراء بالتفخيم النسبي أى لا تصل إلى أعلى درجات التفخيم؛ بعلّة أنها مسبوقة بكسر، وهذا خطأ، والدليل من المتن للعلامة الإمام المتولي رحمه الله^(١):

* وخاءٌ إخراج بتفخيمٍ أتت * من أجل راءٍ بعدها إذ فحّمت. ا.هـ. *

الثانية: قوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (التوبة - ١١٤).

هذا هو الموضع الوحيد في القرآن الذي جاءت فيه كلمة (استغفار) حرف (الغين) مسبوق بكسر، وهى ساكنة، لذلك حكمها أدنى درجات التفخيم.

*مسألة من دقائق الأمور في فن التجويد:

قوله: ﴿...شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ...﴾ (التوبة - ١٢٤):

يراعى أن الفاء من صفاتها أنها رخوة، أما الراء فيينية، وهى من حروف (لن عمر)، وهذه الحروف متوسطة بين الشدة والرخاوة، لذلك فإن زمن نطق الفاء أطول يسيراً من زمن النطق بالراء، وهذا من دقائق الأمور التى لا يعلمها إلا الخُذَّاق في هذا الفن^(٢).

(١) هداية القارى إلى تجويد كلام الباري، لعبد الفتاح السيد عجمي المرصفي.

(٢) ذكرها الشيخ /محمد حسن - معلم القرآن- بمعهد أبي بن كعب ومقدم برنامج لرواية ورش

على قناة الرحمة.

مسألة في العقيدة تبطل قول الفرقة الزاعمة (إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص):

قوله: ﴿...فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ...﴾ (التوبة -



*** - لطيفة في إعجاز الفاظ القرآن:**

قوله: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ

أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة - )

قال ابن عباس: يكره أن يقال انصرفنا من الصلاة؛ لأن قوماً انصرفوا فصرف الله قلوبهم، ولكن قولوا: قضينا الصلاة؛ أسنده الطبري عنه. قال ابن العربي: وهذا فيه نظر، وما أظنه بصحيح فإن نظام الكلام أن يقال: لا يقل أحد: انصرفنا من الصلاة؛ فإن قوما قيل فيهم: (ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ). أخبرنا محمد بن عبد الملك القيسي الواعظ حدثنا أبو الفضل الجوهري سمعنا منه يقول: كنا في جنازة فقال المنذر بما: انصرفوا رحمكم الله، فقال: لا يقل أحد (انصرفوا) فإن الله تعالى قال في قوم ذمهم: (ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) ولكن قولوا: **انقلبوا رحمكم الله** فإن الله تعالى قال في قوم مدحهم: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانِ اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾  [آل عمران: ١٧٤] ^(١)

(١) أحكام القرآن للقرطبي. (ج ٨/ص ٣٠٠).

هود / يوسف

قال تعالى: ﴿... إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (هود - ٤١).

وقال تعالى: ﴿... إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (يوسف - ٥٢).

الأولى من كلام نوح لقومه وهم قوم حديثو الإيمان، وقد يكون عندهم بعض الريبة والشك، والأمر يحتاج إلى تأكيد؛ لذلك قال لهم نوح: (لغفور) بزيادة اللام.

أما الثانية فكما جاء في التفسير (للقشيري) وأحد قولي **أبي بكر الأنباري** إنه من قول يوسف

عليه السلام وقد قاله في مقام ذم النفس، حينما استشعر أنه مدح نفسه حين قال: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ

أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ (يوسف ٥٢).

فأعقبها بقوله: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي

﴿ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (يوسف - ٥٢) فلا حاجة للتوكيد^(١).

(١) أحكام القرآن للقرطبي، (ج ٩/ص ٢٠٩).

سورة يوسف

١- لطيفة حول السورة:

ورد في القرآن ألفاظ (يعملون يفعلون يصنعون) فحتى لا يحدث لك إشكال في ذلك، فاعلم أن كل ما جاء في يوسف - **يعملون** - ولم يرد فيها يفعلون أو يصنعون.

٢- قوله: ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا

فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف - ١٧).

وقوله: ﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا

لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف - ١٨).

ما سبب اختلاف السياق في قول إخوة يوسف عليه السلام فمرة قالوا: ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ

﴾ وفي الأخرى قالوا: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾؟

قلت والله أعلم:

في الأولى لم يكونوا صادقين وكما قيل: (كاد المريب يقول: خذوني) ^(١)، أما في الثانية عندما كانوا

بالفعل صادقين فأكدوا بـ (إن) وبـ (اللام) فقالوا: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ والله أعلم.

٣- ذكر بعضهم لطيفة عن مقام الدعوة إلى الله وأهميتها:

عندما سُئل يوسف من صاحبيه في السجن عن تأويل الرؤيا، لم تأت إجابته مباشرة، ولكن قدم لها بجديث مطول عن التوحيد ونبذ الشرك، ثم جاء التأويل موجزاً في كلمات، نأخذ من ذلك دليلاً على أهمية الدعوة إلى الله حتى في أصعب الظروف، فوجود يوسف عليه السلام في السجن لم

(١) المستطرف في كل فن مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبهشي.

يجعله يغفل عن استغلال الفرصة لدعوة كل أهل السجن للتوحيد^(١).

٤- قوله: **﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا**

تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ (يوسف - ٥٩):

قيل في التفسير: كان في المرة الأولى أبطأ في تجهيزهم ليتعرف أخبارهم من حيث لا يشعرون، ولذلك لم يعطف بالفاء وقد أسرع في تجهيزهم في المرة الثانية قصداً إلى انفراده بأخيه بدون رقيب^(٢).

٥- قوله تعالى: **﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْتِصَّتْ عَيْنَاهُ مِنْ**

الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (يوسف - ٨٤).

إن الفقيد هنا شقيق يوسف، فما الحكمة من قوله: **﴿يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ﴾**؟

قيل: إن شدة حزنه الأول على يوسف قد طمت وعفت على أى حادث يصيبه بعد ذلك فكلما أصابه شيء تذكر مصيبة فقد يوسف.

٦- قوله: **﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾** (يوسف - ٥٥):

(١) قلت والله أعلم: وقد عنت لي هذه الخاطرة بشأن دخول يوسف عليه السلام إلى السجن: كما قيل - قد تأتي العطية في طي البلية، وقد تكون المنحة في طي الخنة - لقد أتى، الفرج ليوسف من حيث لا يحتسب أحد، أتاه من داخل محبسه، ذلك أنه داخل السجن كان شاغله الأكبر قضية التوحيد وهي القضية التي ربي عليها النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في صدر الدعوة ثلاث عشر عاماً بمكة، وكأها رسالة لمن أدخل يوسف السجن تقول: كما أدخلتموه السجن ظلماً بغير ذنب فأنتم الذين ستخرجونه من السجن وأنتم في أمس الحاجة إلى مشورته، بل وستجعلونه فيكم وزيراً، وكما قيل كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد.

(٢) تفسير السراج المنير، (ج ٢/ ص ١٠٠)، نظم الدرر للبقاعي (ج ٤ ص ٧٦).

فيها مسألتان:

المسألة الأولى: قد يقول قائل: أليس في قول يوسف شبهة طلب الولاية؟ والقاعدة تقول: من طلب الولاية لا يولَّى؟

فالإجابة أن يوسف عليه السلام لم يطلب ولاية، وإنما طلب الإصلاح ليتخذ من إصلاحه سبيلاً لدعوته وتحقيقاً لرسالته، حيث إنه كان آمراً فيستجاب، ولم يكن مأموراً للإيجاب؛ حيث إنه كان واثقاً بالإيمان ومؤمناً بوثوق.

وقد تأتي ظروف لا تحتمل التجربة مع الناس، فمن يثق بنفسه أنه قادر على القيام بالمهمة فله، أن يعرض نفسه^(١).

المسألة الثانية: وهي بشأن قوله سبحانه: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (يوسف-٥٥):

وقوله: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَعْجَرَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦).

قلت والله أعلم: قوله: ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ مناظرة لقوله في القصص: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ

اسْتَعْجَرَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦): ارجع للبند ٦ في القصص.

٦- قول الله تعالى: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

(يوسف - ٩٨).

وَعَدَهُمْ بِالْإِسْتِغْفَارِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ إِذْ قَالَ: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّهُ يُلَازِمُ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُمْ فِي أَزْمِنَةِ الْمُسْتَقْبَلِ. وَيُعْلَمُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَغْفَرَ لَهُمْ فِي الْحَالِ بِدَلَالَةِ الْفَحْوَى وَلَكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُنَبِّهَهُمْ إِلَى عِظَمِ الذَّنْبِ وَعَظَمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهُ سَيُكْرَّرُ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُمْ فِي أَزْمِنَةِ مُسْتَقْبَلَةٍ. وَقِيلَ: أَخَّرَ الْإِسْتِغْفَارَ لَهُمْ إِلَى سَاعَةٍ هِيَ مَظْنَةُ الْإِجَابَةِ.

(١) خواطر الشعراوي، (ج ١١/ص ٦٩٩٨).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا أَنَّهُ أَخْرَجَ إِلَى لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ. وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فِي رِفْعَةٍ نَظَرَ^(١).

يوسف / (القصص)

١- قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ

﴾ (يوسف - ﴿٢٢﴾)

وقوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ رَءَاهُ آتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص - ﴿١٤﴾):

ذكر الكرمانى أن يوسف أوحى إليه في البئر، وموسى أوحى إليه بعد الأربعين، أي أنه كان أكبر سنًا من يوسف ولذلك أتت هذه الزيادة^(٢).

وقيل أيضاً إن هذا نظير ما جاء في الأحقاف؛ حيث قال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ ثم قال

بعدها: ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾.

قلت والله أعلم: دليله قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ﴾ (يوسف - ﴿٥٠﴾).

كان ذلك في البئر وكان يوسف حينها صبياً، والله أعلم.

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (ج ١٢/ص ٥٤).

(٢) أسرار التكرار في القرآن، لمحمود بن حمزة الكرمانى (ج ١/ص ١١١).

سورة الرعد

١- جاء قول الله سبحانه في سورة الرعد ثلاث مرات ولكن بتذييل مختلف للآية:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ^٥ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ

قَوْمٍ هَادٍ﴾ (الرعد - ﴿٥﴾).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ^٦ قُلْ إِنْ أَلَّهِ يُضِلُّ

مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ (الرعد - ﴿٦﴾).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا^٧ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي

وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (الرعد - ﴿٧﴾).

قلت والله أعلم:

الأولي: هي هداية الإرشاد فقط وهي وظيفة الأنبياء والرسل.

الثانية: هي هداية الإلهام وهذه تكون من عند الله، بدليل قوله: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ

هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد - ﴿١٧﴾).

ذكر ابن القيم أن هناك هداية ثالثة وهذه تكون يوم القيامة وهي هداية للسير وعبور الصراط فعلي

قدر سيرك في الدنيا يكون سيرك في الآخرة على الصراط^(١).

٢- قوله: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ^٨ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ^٩ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

(١) مدارج السالكين، (ج ١/ص ١٥).

بِشَىءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ^ج وَمَا دُعَاءُ

الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿الرعد - ١٠﴾.

ما الحكمة من هذا التشبيه للذين يدعون من هو دون الله سبحانه...؟

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هذا مثل المشرك الذي عبد مع الله غيره، فمثله كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه^(١).

٣- قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

وظِلُّلَهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (الرعد - ١٥): ما الحكمة من تخصيص هذا التوقيت

بالسجود: ﴿بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾...؟

قلت: إن حركة الظل تكون في أوضح صورها في هذا الوقت، حيث يتحول الظل من جهة إلى أخرى عند الشروق وعند الغروب وقيل: إن هذا هو سجود الظل، والله أعلم^(٢).

٤- قوله تعالى في الآية ٣٠: ﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ

لِتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ^ج قُلْ هُوَ رَبِّي لَا

إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا...﴾ (الرعد

.-

(١) فتح القدير للشوكاني، (ج ٤/ص ١٠٤).

(٢) هذه الناطرة لها شاهد ذكرها النيسابوري في كتابه: إيجاز البيان عن معاني القرآن، (ج ١/

ما سر ذكر القرآن والحديث عنه في الآية التي تلي الآية ٣٠؟

الإجابة والله أعلم:

ذكر في التفاسير^(١) أن المعنى (أننا كما أرسلنا كل نبي بمعجزة ظاهرة مناسبة لقومه فبمثل هذا الإرسال فكذلك أرسلناك بمعجزة القرآن) لذلك الحديث في الآية بعدها عن القرآن.

٥- مسألة في باب الموصول والمقطوع في الرسم العثماني:

قوله: ﴿وَإِنْ مَا نُزِيتُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ...﴾ الرد - ﴿١٦﴾

لم تأت - وَإِنْ مَا - مقطوعة أي كلمتين منفصلتين إلا في الرد وفي غيره جاءت موصولة كلمة واحدة (إما).

الرد / سبأ

عادة ما يحدث لبس بين آيتين في الرد وسبأ:

قوله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ...﴾ (الرد - ﴿١٦﴾).

وقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ...﴾ (سبأ - ﴿٢٤﴾).

قلت والله أعلم:

فأما الآية الأولى فتناولت الدلائل الكونية علي ربوبية الله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ...﴾ (الرد - ﴿١٦﴾).

حيث توسطت آيات تتناول الدلائل الكونية في ملكوت الله من رفع السماوات ومد الأرض وتعاقب الليل والنهار والزرع والنخل والبرق والرد والصواعق وإنزال المطر، أما الآية الثانية فتناولت قضية

(١) التفسير الوسيط للزحيلي - د وهبة بن مصطفى الزحيلي.

الرَّزْقُ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ (سبأ - ٢٤)

فهو سبحانه الخالق وهو الرازق لخلقه.

الرعد / محمد

جاء قول الله سبحانه: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ في موضعين في القرآن بتتريل مختلف.

الموضع الأول: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد - ٢٥)

الموضع الثاني: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ (محمد - ١٥)

قلت والله أعلم:

هناك لطيفة للتذكرة وتمييز كل موضع عن الآخر؛ فقد ذكر الله الأنهار مجملة في الأولى ثم فصل في موضع سورة محمد، والله أعلم بمراده سبحانه، إنما هذه منارات فقط للتذكير.

سورة إبراهيم

١- ورد في البقرة وفي الأعراف: ﴿يَذُنُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ أما في إبراهيم فجاءت: ﴿

يُذُنُّونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ (إبراهيم - ٦). بزيادة حرف الواو.

قال الشعراوي وكذلك الكرمانى: في البقرة والأعراف الحديث لله، أما في إبراهيم فالحديث لموسى حيث أمره الله أن يذكرهم بأيام الله والحن التي تعرضوا لها ومنة الله عليهم أن نجاهم من هذه الحن (فعندما جاءت في معرض التذكير وتعدد النعم وعلى لسان موسى فالمقال يلزمه حرف الواو)، أما التي في البقرة والأعراف فالكلام لله، والله لم يعدد عليهم الحن^(١).

٢- ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ...﴾ (إبراهيم - ٩).

و في مواضع أخرى مثل سورة سبأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا

إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ - ١٢)؟

الإجابة والله أعلم:

في هذا الموضع توضيح لشدة كفرهم؛ فقد قدموا في ردهم علي الرسل الكفر أولاً وابتداءً على الشيء الذي كفروا به.

٣- ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (إبراهيم - ١١) - الوحيدة في القرآن.

والآية بعدها: ﴿... وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (إبراهيم - ١٢)؟

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٢/ص ٧٤٤٤) وأسرار التكرار للكرمانى (ج ١/١٢٠).

الإجابة والله أعلم:

التوكل يلزمه تحقيق الإيمان أولاً حتى يتم التوكل على الله حق التوكل^(١).

٤- قوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي

الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ (إبراهيم - ١٢٢)

وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ

السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (طه - ٥٢).

ما هو وجه الإفراد في إبراهيم والجمع في طه؟

الإجابة والله أعلم:

تحدث في آية طه العلامة **أبو بكر الجزائري**^(٢)، وذكر **القرطبي** في هذه الآية عدة أقوال منها: (انتهى

كلام موسى عند قول الله: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾، ثم قال الله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ

أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾، فحدث التفات في الكلام ليحدث انتباه للسامع وإيقاظ للغافل، إلى

أن كلام موسى انتهى والكلام لله سبحانه^(٣).

وهناك قول آخر **للشعرابي هو**: كما أن إنزال الماء من السماء ليس لأحد عمل فيه، لكن عندما يخرج

النبات قد يكون لنا عمل مثل الحرث والبذر والسقي وخلافه، لكن هذا العمل مستمد من الأسباب

التي خلقها الله لك؛ لذلك لما تكلم عن الماء قال: ﴿أَنْزَلَ﴾ فلا دخل لأحد فيه، ولما تكلم عن إخراج

(١) البرهان للكرمانى - بتصرف يسير، (ص ٩٣).

(٢) أيسر التفاسير، للجزائري؛ (ج ١/ص ٧٢٨).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، (ج ١١/ص ٢٠٩).

النبات قال: ﴿أَخْرَجْنَا﴾؛ لأنه تتكاتف فيه صفات كثيرة، تساعد في عملية إخراجها، وكأن الحق تبارك وتعالى يحترم عملك السبي ويقدّره^(١).

قال العلامة **ابن عاشور** رحمه الله مسألة لطيفة في هذا السياق يجدر ذكرها:
(وَلَمَّا حَظَّتْ هَذِهِ الثُّكْتَةُ تَكَرَّرَ فِي الْقُرْآنِ مِثْلُ هَذَا الْإِثْبَاتِ عِنْدَ ذِكْرِ الْإِثْبَاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ...﴾ [الأنعام: ٩٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا...﴾ [فاطر: ٢٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ...﴾ [النمل: ٦٠] وَمِنْهَا قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرَفِ [١١]: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾. وَقَدْ نَبَّهَ إِلَى ذَلِكَ فِي «الْكَشَافِ»، وَلِلَّهِ دَرُهُ. وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ^(٢).

قلت والله أعلم:

لذلك قد تكون (نا) العظمة هنا إشارة إلى قدرة الله المطلقة في إخراج الزرع.

قلت والله أعلم:

أما ما جاء في إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ (إبراهيم - ١١) بصيغة المفرد، فهذا

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٥/ص ٩٢٩١).

(٢) التحرير والتنوير (ج ١٦/ص ٢٣٥).

جاء كله في معرض قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (إبراهيم - ٢٨) وقوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا..﴾، فالخطاب كله لله في حق هؤلاء الذين جعلوا لله نداً، فيناسب **الند والشرك والكفر** أن يأتي الكلام الموجه إليهم **بالإفراد** إعلاماً من الله إلي المشركين بأنه سبحانه أحد صمد فقال سبحانه: (أنزل) / (فأخرج به) / (وسخر لكم الفلك) / (وسخر لكم الأنهار) / (وسخر لكم الشمس) / (وسخر لكم الليل والنهار)، هذا والله بأعلم بمراده من كلامه سبحانه.

٥- **لطيفة حول قوله سبحانه: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا**

وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم - ٢٦): إن إبراهيم عليه السلام قد حطم الأصنام بيديه فما الذي دفعه إلى هذا الدعاء ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾؟

قيل والله اعلم:

إنه عليه السلام وإن كان يعلم أنه تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه ذكر ذلك هضماً للنفس وإظهاراً للحاجة والفاقة إلى فضل الله في كل المطالب^(١).

قلت والله أعلم:

وهذا يذكرنا بأن النبي ﷺ وهو المعصوم كان كثيراً ما يسأل الله التثبيت علي الحق وتصريف قلبه على الطاعة، وكما روى عن أبي سفيان ويزيد عن أنس قال: كان النبي ﷺ يكثّر أن يقول: "اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك".

قال الإمام الألباني: صحيح^(٢).

(١) تفسير الرازي (ج ١٩/ص ١٠٥).

(٢) الأدب المفرد للبخاري - بأحكام الألباني - (ج ١/ص ٢٣٧).

وكما روى عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): مَثَلُ الْقَلْبِ مَثَلُ الرِّيشَةِ، تُقْلِبُهَا
الرِّيَاحُ بِفَلَاةٍ^(١).
قال الإمام الألباني: صحيح.

(١) سنن ابن ماجه (ج ١/ص ٦٦).

إبراهيم / النحل

١- قوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا^١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

﴿إبراهيم - ١٢﴾.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا^٢ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل-

١٨):

قلت والله أعلم:-

(سورة النحل تسمى سورة **النعم**؛ لأنها اشتملت على ذكر الكثير من نعم الله على خلقه، لذلك تناسب معها أن يكون التذييل للآية بقوله: (غفور رحيم)؛ حيث يتناسبان مع سورة النعم والسياق العام للسورة من تعدد نعم الله).^٥

ومن وجه آخر هذا رد على المستشرقين الذين يسعون في آيات الله معاجزين والله من ورائهم محيط، بما يقيده من علماء للرد عليهم، فقد قيل في الجمع بين الآيتين، (إن الله لغفور رحيم للإنسان بالرغم

من ظلم الإنسان) ^(١) مصداقاً لقوله سبحانه في سورة الرعد: ﴿.. وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ

لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ^٦ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الرعد-٦).

(١) خواطر الشعراوي - بتصرف (ج ١/ص ٢٠٢).

سورة الحجر

١- قوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (الحجر - ٤).

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذُرُونَ﴾ (الشعراء - ٢٨).

فما حكمة زيادة حرف الواو في الحجر؟

الإجابة والله أعلم:

جُمْلَةٌ: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ في مَوْضِعِ الْحَالِ، وَكَفَاكَ عِلْمًا عَلَى ذَلِكَ اقْتِرَانُهَا بِالْوَاوِ؛ فَهِيَ اسْتِثْنَاءٌ مِنْ عُمُومِ أَحْوَالِ، وَصَاحِبُ الْحَالِ هُوَ قَرِيَّةٌ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ نَكْرَةً فَإِنَّ وَقُوعَهَا فِي سِيَاقِ النَّفْيِ سَوَّغَ مَجِيءَ الْحَالِ مِنْهُ كَمَا سَوَّغَ الْعُمُومُ صِحَّةَ الْإِخْبَارِ عَنِ التَّكْرَرِ.

وَجُمْلَةٌ: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرِخُونَ﴾ بَيَانٌ لِحُمْلَةِ: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ

مَعْلُومٌ﴾ لِبَيَانِ فَائِدَةِ التَّحْدِيدِ: أَنَّهُ عَدِمَ الْمُجَاوِزَةَ بَدْءًا وَنَهَايَةً^(١).

وقوله: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذُرُونَ﴾ (الشعراء - ٢٨).

تَذَكِيرٌ لِقُرَيْشٍ بِأَنَّ الْقُرَى الَّتِي أَهْلَكَهَا اللَّهُ وَالَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ قَدْ كَانَ لَهَا رُسُلٌ يُنْذِرُونَهَا عَذَابَ اللَّهِ لِيُقَيِّسُوا حَالَتَهُمْ عَلَى أَحْوَالِ الْأُمَمِ الَّتِي قَبْلَهُمْ.

وَالْإِسْتِثْنَاءُ مِنْ أَحْوَالِ مَحْذُوفَةٌ. وَالتَّقْدِيرُ: وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ إِلَّا فِي حَالِ لَهَا مُنْذِرُونَ. وَغَرِيتُ جُمْلَةُ الْحَالِ عَنِ الْوَاوِ اسْتِغْنَاءً عَنِ الْوَاوِ بِحَرْفِ اسْتِثْنَاءٍ، وَلَوْ ذُكِرَتِ الْوَاوُ لَحَازَ

كَقَوْلِهِ: ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (الحجر - ٤) وَعَبَّرَ عَنِ الرُّسُلِ بِصِفَةِ الْإِنْذَارِ لِأَنَّهُ الْمُنَاسِبُ

(١) التحرير والتنوير (ج ١٤/ص ١٥).

ذكر النيسابوري رأياً آخر^ك ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ [الحجر:

٤]: سبب تخصيص تلك الآية بالواو وهذه بعدم الواو؛ فنقول: لا ريب أن الواو تفيد مزيد الربط والاجتماع في الحال، وفي الوصف إن جوزنا: فسواء قدرنا الجملتين أعني قوله: ﴿وَلَهَا كِتَابٌ

مَعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤] وقوله: ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٨] حالاً أو وصفاً، فالمقام يقتضى ورود النسق على ما ورد؛ وذلك أن قوله: (ولها كتاب) صفة لازمة للقريّة، فإن الكتب في اللوح وصف أزلى، فناسب أن يكون في اللفظ ما يدل على اللزوم والاتصاف وهو الواو، ثم زيد في التأكيد بقوله: (معلوم) وبقوله: (ما تسبق)، وهذا بخلاف قوله: (لها منذرون) فإنها صفة حادثة، فأطلقت وجود صدر الجملة عن الواو، لذلك والله أعلم هذه الواو عند النحويين تسمى واو الحال، أو أن تكون الجملة صفة والواو جاءت لشدة التصاق الصفة.

٣- قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر - ﴿٧٥﴾).

٤- وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر - ﴿٧٧﴾).

(١) التحرير والتنوير (ج ١٩ / ص ١٩٨).

الإجابة والله أعلم: هذا يسمى (جمع المدلول ليدل بها على دليل واحد، ولم يأت له نظير إلا في العنكبوت، فالتوسمون هم المتفرسون والذين رأوا المدلولات التي سبقت من إهلاك من سبق فأخذها المؤمنون دليلاً على وحدانية الله، لذلك عندما ذكر المؤمنين قال (آية) بالإنفراد، فالمؤمنون موحدون، ومثلها في العنكبوت: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت -

١٣٤). وهي قصة إبراهيم ولوط ومدين وإنجاء الله لهم وللمؤمنين وإهلاك الآخرين، (وقارون

وفرعون وهامان)، ثم بعد ذلك قال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

(١) البرهان للكرماي، بتصرف (ج ٤/ص ١٤).

سورة الحجر / الشعراء

١- قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ^ط وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحجر - ﴿١٣﴾

وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ^ط حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ الشعراء - ﴿٢١﴾

قلت والله أعلم وذلك للربط بين الموضعين:

قال في الحجر: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ^ط وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾، والمقصود بهذه السنة كما جاء في التفسير هو إهلاك من استهزأ وكذب بالرسول من الأمم السابقة بأنواع العذاب المختلفة، وفي الشعراء وضح وفصل ما هي هذه السنة، وأيضا جاءت في معرض الحديث عن الأمم السابقة وإهلاكهم بأنواع العذاب المختلفة، فاقترضى قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ^ط حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ وهذه علامة للتذكير فقط وليس بتأويل، والله أعلم بمراده سبحانه.

سورة النحل

١- قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تَرْتَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (النحل - ﴿٦﴾):

ما الحكمة من مجيء الترتيب في السورة عكس الترتيب المعروف، فصاحب الأنعام في الصباح المبكر يذهب بها للمرعى وهو ما يسمى (تسرحون)، وفي نهاية اليوم يرجع بالأغنام وهو ما يسمى (ترتحون).
الإجابة والله أعلم:

(حين تسرح الأنعام في الصباح تكون غير ممتلئة الضروع بالحليب وتكون هزيلة الشكل مقارنة بشكلها بعد الرجوع من المرعى مساءً وقد شبت وامتألت الضروع بالحليب فعندما ينظر إليها

صاحبها يجد فيها جمالاً أكثر من منظرها في أول النهار^(١).

٢- «... فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَتْهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَشْعُرُونَ» (النحل - ﴿٦٦﴾):

من المعلوم أن السقف يخر من فوق، فما الحكمة من قوله سبحانه: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾؟

الإجابة والله أعلم:

من عادة كلام العرب أن أحدهم إذا كان يملك بستاناً أو حائطاً أو بنياناً أن يقول: (خر علينا سقف أو وقع علينا حائط) وإن لم يقع عليه بالمعنى القريب للأذهان، فحتى لا يتوهم السامع ذلك المعنى ويقع في شك من المعنى فذكر (من فوقهم) حتى يكون المعنى المقصود أنهم هلكوا وأهم كانوا تحته حين سقط عليهم.

٣- «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»: وردت في القرآن عدة مرات بتذييل مختلف (ما لم يتزل به سلطاناً/ ما لا ينفعهم ولا يضرهم/ أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم).

أما في هذه السورة فقد جاءت: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنْ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» (النحل - ﴿٧٣﴾):

قلت والله أعلم:

هذه السورة هي سورة النعم، لذلك ناسب الآية أن تذييل بقوله: «مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنْ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ» (النحل - ﴿٧٣﴾).

لأن الرزق يتناسب مع النعم، وسورة النحل تسمى سورة النعم.

(١) التحرير والتنوير (ج ١٤/ص ١٠٥).

٤- قوله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل - ﴿٧٨﴾).

و قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ السجدة - ﴿٩﴾. وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (المؤمنون - ﴿٧٨﴾).

قلت والله أعلم: في النحل التي هي سورة النعم سياق الآيات يقتضي الإحسان والمنة والترغيب فذيلت

بقوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أما سورة السجدة فقد توسطت آيات ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾... ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا

فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾... ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا

رُءُوسِهِمْ﴾ فناسب السياق الذي هو في معرض الحديث عن **المجرمين والكافرين** أن تذيل الآية بقوله:

﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.

وفي المؤمنون أيضا توسطت آيات: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ

لَنَنكِبُون﴾... ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طُغْيَانِهِمْ

يَعْمَهُون﴾... ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾... ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ

الأُولُونَ» فناسب السياق الذي هو في معرض الحديث عن (الذين لا يؤمنون بالآخرة ومنكري

البعث) ناسبه أن تذييل الآية بقوله: **«قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»**.

أما في الملك:

«قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

تَشْكُرُونَ» (الملك - ١٣).

فتماماً مثل المؤمنين والسجدة فجاءت في معرض الحديث عن: **«وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ**

جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا، وقوله: **«وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ**

نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ»، وقوله: **«وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ»، وقوله: **«...إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ»**.. **«بَلْ لَجُوا فِي**

عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»، فناسبها أن تذييل

بقوله: **«قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ»**.

هذه خاطرة ولافتة للتذكير فقط، والله أعلم بمراده سبحانه.

٥- في نفس الآية السابقة نفسها قال: (السمع) بالإنفراد و(الأبصار والأفئدة) بالجمع.

الإجابة والله أعلم:-

لو أننا في مكان وسمعنا صوتاً فالكل سيسمعه بنفس الكيفية، فالسمع فيه توحيد، أما البصر فكل منا ينظر إلى اتجاه مختلف، كذلك لكل منا قلب له هوى مختلف عن الآخر وإدراك مختلف.

أما ما جاء في الإسراء فجاء بالإنفراد: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء- ٦٦)، فسبب الإفراد أن كل إنسان مسئول عن سمعه وبصره وفؤاده،

يقول سبحانه: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (مريم- ٩٥) فكل إنسان سيُسأل عن

سمعه هو وبصره هو وفؤاده هو^(١).

وقد ذكر د/عبد الكريم الخطيب تفصيلاً رائعاً مطولاً في هذا الأمر، يحسن ذكر بعض مقتطفات منه
(٢):

"والمتنبع لآيات الله، التي تتحدث عن السمع والبصر، يجد أن القرآن الكريم قد فرّق بين السمع
والبصر، في الصورة التي عبّر بها عن كل منهما.

فأما عن السمع.. فقد التزم فيه القرآن الكريم الإفراد مطلقاً، سواء اقترن به البصر أم لم يقترن.. وسواء
أجاء منكرًا، أو معرفًا بأل أو بالإضافة.

ولم يقع في القرآن مجيء السمع جمعاً في أي حال من أحواله.. ولم يرد في القرآن لفظ «الأسماع»
أبداً..

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (الكهف: ١٠١).. ويقول سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا

وَأَبْصَرَ وَأَفْئِدَةً﴾ (الأحقاف: ٢٦) ويقول تعالى: ﴿.. وَحَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾

(الجاثية: ٢٣) ويقول جلّ وعلا: ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ﴾ (الأحقاف: ٢٦) ويقول تبارك

(١) تفسير الشعراوي، (ج ١/ص ٣٠٩٢).

(٢) التفسير القرآني للقرآن، (ج ٦/ص ١٠٠١).

وتعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ (الأنعام: ٤٦).

ويلاحظ في الآيات القرآنية التي ورد فيها « السمع » أنه يقترن دائماً بالبصر، أو الأبصار، فإن لم يقترن بهما اقترن بحال من أحوال الإنسان التي يكون فيها في ذهول وغفلة وشروء.. كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٣٣﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ

﴿٣٣﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٣).

وقوله سبحانه:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (ق: ٣٧).

.. فالقلب هنا يقوم مقام البصر، في كشف معالم الطريق إلى الهدى والنور.. وقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ (الكهف: ١٠١) فالعيون التي في غطاء عن ذكر الله، هي العيون التي لا تتصل معطياتها بعقل أو قلب، وهي الأبصار المعطلة التي لا تعمل! وأما عن البصر.. فقد عبّر عنه القرآن بصيغة الإفراد، وبصيغة الجمع.

وذلك في حال إفراد البصر بالذكر دون أن يقترن به السمع.

فقد جاء البصر مفرداً مثل قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ (النجم: ١٧) وقوله

سبحانه: ﴿وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ﴾ (القمر: ٥٠)، وقوله جلّ شأنه: ﴿ثُمَّ

أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ...﴾ (الملك: ٤)، وجاء البصر جمعاً، غير مقترن بالسمع، كقوله تعالى:

﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: ١٠) وقوله سبحانه:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج:

٤٦).. وقوله: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَأْأُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر: ٢).

كذلك جاء البصر جمعاً مقترناً بالسمع، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (الملك: ٢٣) وقوله جل شأنه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

وَالْأَفْئِدَةَ﴾ (المؤمنون: ٧٨) .

وقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ

﴾ (الأنعام: ٤٦) . وهكذا جاء وضع السمع في كلام الله، مخالفاً بينه وبين البصر.. حيث يجيء السمع

مفرداً دائماً، ويجيء البصر مفرداً وجمعاً.. وأكثر ما يجيء البصر جمعاً إذا اقترن بالسمع — وقد جاء

السمع مفرداً مقترناً بالبصر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ

كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦) والسرّ في هذا — والله أعلم — هو أن بين السمع والبصر

اختلافاً من وجوه:

والصوت، السمع طريق إلى شيء واحد، هو الصوت.. والصوت، وإن اختلف قوة وضعفاً، ورقة

وخشونة.. فهو — على أي حال — شيء واحد، في النوع، وإن اختلف في الدرجة.

أما البصر فهو طريق إلى هذا الكون كله، وما فيه من عوالم وأكوان، وما في كل عالم وكون، من

ناطق وصامت، ومتحرك وثابت، وجامد وسائل.. فالبصر، ذلك مما في العالم الأرضي من كائنات،

وما في السماء من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب... وكلها مختلفة متغيرة.

فالبصر، بالقياس إلى السمع، هو إبصار.. يتعامل مع ما لا يحصى من الأشياء، حتى إنه في النظرة

الواحدة يفتح عشرات القوى المبصرة، فتجيء إليه بأكثر من منظور!

وثانياً: السمع، لا يستطيع أن يضبط أكثر من صوت واحد، في حال واحدة.. ولطغت عليه الأصوات، وذاب بعضها في بعض، وعسر على الإدراك، عزلها، وتمييزها.

والبصر.. ينقل كثيراً من المرئيات في حال واحدة، ويحتفظ لكل مرئي بصورته، دون أن تختلط بغيرها.. وينقلها إلى الإدراك منفصلة، كما ينقلها إليه متصلة.

فهو — من هذه الجهة — أكثر من حاسة.. إنه أبصار، وليس بصراً واحداً..

وثالثاً: السمع مقيد بوجود الصوت، الذي يتعامل معه.. فإذا لم يكن هناك صوت، تعطل السمع، وخيم عليه صمت رهيب!.

أما البصر، فهو عامل دائماً، فحيثما فتح الإنسان بصره وجد ما ينقله إليه بصره من أشياء لا تكاد تحصى.. في أي مكان، وفي أي زمان.

فالبصر بالقياس إلى السمع هنا، هو إبصار كثيرة.. لا عدّها ولا حصر.

ورابعاً: وأكثر من هذا كله — وهو في النظم القرآن بالخلّ الأول — هو أن البصر يستطيع أن يمسك بالأشياء، ويقف ما شاء له الوقوف إزاءها، ويعاود النظر إليها، مرة ومرة ومرة.. ويتفحصها من جميع وجوهها..

والسمع بمعزل عن هذا؛ إذ لا يستطيع أن يمسك بالصوت أكثر من اللمسة العابرة التي تمرّ به.. وفي هذا يقول الله: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٣-٤).

ومن هنا، كان البصر، أبصاراً، في معاودته النظر إلى الأشياء، وفي تفحصها، والنظر إليها من جميع جهاتها، من قرب ومن بعد..

ومن هنا أيضاً كان التفات القرآن الكريم إلى النظر، وتوجيهه إلى ملكوت السماوات والأرض، وعقد صلة وثيقة بينه وبين القلب..

يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (يونس: ١٠١)

ويقول سبحانه: ﴿أَنْظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾ (الأنعام: ٩٩).. ويقول جل

شأنه: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ

النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ (العنكبوت: ٢٠).. ويقول سبحانه:

﴿فَانْظُرْ إِلَى ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (الروم: ٥٠)

أ.هـ.

٦- قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا

حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (النحل - ﴿٧٧﴾).

ما الحكمة من قوله سبحانه: (حسناً) بعد (رزقاً) ولم يأت بعد: (سكراً)...

الإجابة والله أعلم:-

يقول أهل التدقيق القرآني والفهم العالي: (لقد بيت الله للخمير أمراً لأنه قال: (سكراً) وسكت ثم قال (رزقاً) ووصفه بأنه (حسناً) ^(١).

٧- قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ

بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ﴾ (النحل - ﴿٨٠﴾).

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٣/ص ٨٠٤).

لماذا وضعت علامة -لا- علامة منع الوقف، أو عدم قطع القراءة كلية، أو عدم جواز البدء من هذا الموضوع- (هذه العلامات توفيقية من وضع لجان ضبط المصحف وليست توفيقية من الله، لذلك تجدها تختلف من مصحف إلى آخر حسب اللجنة).

الإجابة والله أعلم:

المانع هنا من الابتداء وليس الوقف؛ لأن قوله (أثاثاً) معمول للفعل جعل في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودٍ الْأَنْعَمِ﴾ فيوجد اتصال في اللفظ (أي من جهة الإعراب) والمعني، وأما في حال الوقف والابتداء من قوله: ﴿وَمِنْ أَصَوَافِهَا﴾، فالواو العاطفة هنا ستصبح واو استئناف أي استئناف كلام ويصبح شبه الجملة خبراً متقدماً مبتدأه المتأخر ﴿أَثَثَا وَمَتَعَا﴾، وفي هذا الحال سيكون بالرفع لأنه لا يوجد ما ينصبه بعد أن فصلناه عن الفعل (جعل)، ولكن لا شك أن (أثاثاً ومتاعاً) مفعول للفعل (جعل) منصوب، فامتنع الوقف لعدم الإيهام^(١).

٨- قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (النحل - ٨٤).

في موضع الآخر في ذات السورة: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ^ص وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ^ج وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل - ٨٩).

(١) الشيخ احمد عريف.

الإجابة والله أعلم:-

في الموضع الثاني توجد الظرفية وهي قوله: (في) لذلك قال: (شاهداً عليهم) أما في الأولى فلم يقل: (شاهداً عليهم) فقد تكون شاهداً على غيرهم^(١).

٩- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

(النحل - ﴿٦٠﴾).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ

وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء - ﴿٥٦﴾).

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم - ﴿٨١﴾).

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا

يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا يَمْلِكُونَ وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا

﴾ (الفرقان - ﴿٢﴾)، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ (يس -

﴿٧٤﴾). سيأتي في بند (٥) في الإسراء.

سورة النحل / الحديد

قوله سبحانه في سورة النحل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي

أَخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل - ٦٤).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (النحل - ٦٥).

السماع هنا مقصوده التدبر والإنصاف وهو تعريض بالمشركون الذين لم يفهموا دلالة ذلك على الوحدانية؛ ولذلك اختيار وصف السمع هنا المراد منه الإنصاف والامتنال لأن دلالة **المطر** وحياة الأرض به معروفة مشهورة، ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى ظاهرة لا يصد عنها إلا المكابرة^(١).

قلت والله أعلم:

للربط بين هذا الموضع وما جاء في سورة **الحديد**:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ

قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٦٦) **أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**

قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (النحل - ٦٧).

هذه إشارة إلى أن الوحي الذي نزل به جبريل علي النبي صلى الله عليه وسلم (القرآن) هو حياة

(١) التحرير والتنوير (ج ٤/ص ١٩٨).

النفوس والأرواح وهذا هو ما جاء في أول سورة النحل:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ...﴾ (النحل - ﴿١﴾).

كما جاء في التفسير ^(١)، ولا ينتفع بذلك إلا الأحياء دون الأموات، لذلك والله أعلم ختم بقوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾.

سورة الإسراء

١- جاء في سورة الإسراء السمع والبصر والفؤاد بالإفراد ﴿...إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ

كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (النحل - ﴿١٠٦﴾).

الإجابة والله أعلم:

سورة النحل البند(٥).

٢- جاء في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء - ﴿١٠٦﴾).

أما ما ورد في سورة الكهف: ﴿قِيمَالْيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف - ﴿٢٦﴾).

الإجابة والله أعلم:

لاحظ أن فواصل سورة الإسراء جاء قبل آخر كل حرف في الكلمة حرف من حروف المد

(أ.و.ي)، وهذا في السورة كلها...مثال:- البصير، وكيلاً، شكوراً، كبيراً، مفعولاً، نفيراً، (عدا

(١) أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري (ج ١/ص ٧٤٩).

موضعين تقريباً)... لذلك تناسب معها قوله: ﴿أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

أما سورة الكهف فالحرف قبل الآخر في كل كلمة عبارة عن حرف متحرك فتناسب معها قوله: ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾.

٤- قوله: ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.. ﴿مَذْمُومًا مَحْذُولًا﴾... ﴿مَلُومًا مَحْسُورًا﴾

.... ﴿مَلُومًا مَدْحُورًا﴾. فما هو الفرق بين هذه الكلمات:

الإجابة والله أعلم:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ

مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء - ٢٤).

المحسور مثل الجمل المحسور الذي لا يستطيع القيام بحمله كان النبي ﷺ لا يدخر شيئاً لغد وكان يجوع حتي يشد الحجر على بطنه، وكان الكثير من الصحابة ينفق كل ماله في سبيل الله، فلم يعنفهم النبي ﷺ ولم ينكر عليهم (لصحة يقينهم وشدة بصائرهم) وإنما نهي الله عن الإفراط في الإنفاق وإنفاق ما حوته يده من مال (من خيف عليه الحسرة على ما أخرج من يده) أما من وثق بموعد الله عز وجل وجزيل ثوابه على ما أخرج من مال فهو غير مراد بالآية، والله أعلم^(١).

وقيل: إنه خطاب للنبي ﷺ في خاصة نفسه، وعلمه الله كيف يكون الإنفاق ويأمره بالاعتصام؛ لما رواه جابر وابن مسعود من أن غلاماً أتى النبي ﷺ فقال: أُمي تسألك كذا وكذا، فقال: ما عندنا اليوم شيء، قال: فتقول لك: اكسني قميصك، فخلع قميصه وقعد في بيته عرياناً. وفي رواية جابر فعندما أذن بلال للصلاة لم يخرج النبي ﷺ فانشغلت القلوب فدخل الصحابة على النبي ﷺ فوجدوه

(١) تفسير القرطبي (ج ١٠/ص ٢٤٩).

عريانا.

وكل هذا في إنفاق الخير، أما إنفاق الشر فقليله وكثيرة حرام.

ذكر القرطبي القصة وقال أوردها **الواحد** في أسباب التزول.

زاد **الكرمانى** (فلامه أصحابه على ذلك) (١).

٤- **مسألة:** قوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ **الْعَاجِلَةَ** عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ

ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا **مَذْمُومًا مَدْحُورًا**﴾ (الإسراء - ١٨)

وقوله: ﴿**لَا تَجْعَلْ** مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء -

٢٢)، وقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ **وَلَا تَجْعَلْ** مَعَ اللَّهِ

إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ **مَلُومًا مَدْحُورًا**﴾ (الإسراء - ٣١).

الآية الأولى وإن كانت مذيلة بالعاقبة في الآخرة وإنما ذلك نتيجة عمل الدنيا:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ **الْعَاجِلَةَ** عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ

جَهَنَّمَ يَصْلَحُهَا **مَذْمُومًا مَدْحُورًا**﴾ (الإسراء - ١٨).

قال **القرطبي**: (هذه صفات المنافقين الفاسقين والمرائين المدّاحين يلبسون الإسلام والطاعة لينالوا عاجل

الدنيا من الغنائم وغيرها، فلا يقبل عملهم في الآخرة، وليس لهم في الدنيا إلا ما قسم لهم) (٢).

و الآية الثانية أيضاً في الدنيا، **والثالثة** في الآخرة، وفي كل منهما نهي عن الشرك وأمر بالتوحيد: ﴿

(١) البرهان للكرمان (ص ١٠٤).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٠/ص ٢٣٥).

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ... أول الآية ٢٢... ثم كرر: **﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ**

إِلَهًا ءَاخَرَ﴾... وسط الآية ٣٩ وهو ليس تكرار.

قلت والله أعلم:

لقد أمر الله **بالتوحيد** أول هذه الآيات حيث قال أول الآية (٢٢): **﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا**

ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء - ١٢).

وهذا في الدنيا فإن عاقبة الشرك المذمومة: البعد عن كل خير والخذلان بأن لا يجد له نصيراً من دون الله لأنه اتخذ من دونه إلهاً آخر.

ثم أعطانا الله القواعد والخطوات التي بها يستقيم المجتمع في ١٦ أية:

﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ و**﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾** و**﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾** و**﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾**، **﴿لَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾** و**﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** و**﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾** و**﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾** و**﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾** و**﴿وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾** و**﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** و**﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾**... ثم بعد ذلك ذكر مرة أخرى **التوحيد** مقروناً بقوله:

﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ **﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ﴾**

فَتَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٦﴾ (الإسراء - ١٦)

قد يتوهم أحد أنه تكرر وهو ليس بتكرار.

قال الإمام الشعراوي رحمه الله:

قد يأتي زمان على الناس يحسنون الظن ببعض المفكرين فيأخذون بأقوالهم ويسيرون على منهاجهم، ويفضلونه على منهاج الحق تبارك وتعالى، فيفتنون الناس عن دينهم الحق إلى قضايا أخرى يوهمون الناس أنها أفضل مما جاء به الدين، لذلك لا يكتفى بأن تؤمن بالله أولاً وحسب، بل إن التوحيد مستمر معك، بل هو العبرة من الخلق، لذلك احذر بعد أن شهدت لله بالوحدانية أن تجعل مع الله

إلهه آخر يفتنك عن دينك فتكون النتيجة: ﴿فَتَلَقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾، ملوماً

لأنك أتيت بما تلام عليه، مدحوراً أي مطروداً مبعداً عن رحمة الله وهذا في الآخرة^(١)، ولم يقل ملوماً

محسوراً، وقد تكون العلة في ذلك القصة التي ذكرناها في البند (٣) بعاليه آناً والتي أوردها الواحدي

والقرطبي عن جابر وابن مسعود.

٥- مسألة مهمة: قلت والله أعلم:

قد يكون في الأولى أمر بالتوحيد الخالص والثانية نهي عن العدول عن المنهاج الرباني إلى القوانين الوضعية

من أهواء البشر - خاصة إذا تعارضت مع المنهاج الرباني - لذلك قال قبل الموضع الثاني: ﴿وَلَا تَقْفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ ويجدر الإشارة إلى أن تفسير لا تقف كما قيل^(٢) (لا تتبع من العقائد ما

ليس لك به علم) ولكن اتبع ما أوحى إليك: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٤/ص ٨٥٥).

(٢) القاموس القويم (ج ٢/١٢٨).

وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٦١﴾ (الإسراء - ٦١)

٦- قوله: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ تَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا

ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ (٦١) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ

فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ

عَلِيًّا بِهِ تَتَّبِعًا﴾ (الإسراء - ٦١).

الإجابة والله أعلم: الآية الأولى ذكر فيها (وكيلاً) وذلك في الحياة؛ حيث إنه لم يرد في الآية ذكر موتهم، فالوكيل يكون للأحياء.

أما في الثانية فقال: (فيغرقكم)، وبما أنهم ماتوا فيناسبها (تتبعاً) لأن التبع هو الذي يتبع القاتل للأخذ بالتأثر^(١).

٧- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾

(النحل - ٢٢).

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ

وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء - ٦٥).

﴿وَاتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (مريم - ٨١).

(١) تفسير الشعراوي (ج ١/ص ٨٦٧٩).

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا مَوْتًا يَمْلِكُونَ وَلَا حَيَوَةً وَلَا نُشُورًا﴾ (الفرقان - ﴿٥٦﴾).

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ (يس - ﴿٧٤﴾).

قلت والله أعلم:

في الإسراء جاء لفظ الألوهية ١٠ مرات أما الربوبية فقد جاء ٣٢ مرة، لذلك - والله أعلم - كنى بالضمير؛ فقال: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (الإسراء - ﴿٥٦﴾). أما في النحل التي هي سورة النعم ويناسبها

لفظ الجلالة فلم يكن بالضمير وذكر لفظ الألوهية صريحاً: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، أما في مريم ويس فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً﴾؛ لأن قبلها (نا) العظمة فصرح وذكر لفظ الجلالة، أما في الفرقان فقد كنى بالضمير فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ

ءَالِهَةً﴾ لأنه في الآيات قبلها لم يذكر لفظ الجلالة ولكنه كنى سبحانه وقال:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ/ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فناسبها

الضمير، وأستغفر الله إن قلت في كتاب الله بغير مراده سبحانه، إنما ذلك علامة للتذكير ومنارات على الطريق فقط.

٨- قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى

بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (الإسراء - ﴿٢٨﴾).

لم ينسبهم سبحانه إلى نفسه فلم يقل: (عبادي أو عبادنا)، لأن هؤلاء قد يكونون يختصرون وجنوده فهم لم يكونوا مؤمنين فلم ينسبهم سبحانه وتعالى إلى نفسه؛ لأن في ذلك شرفاً لهم وهم كفار، وكما روى عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: (إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ) ^(١).

٩- قوله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (الإسراء - ﴿٢٩﴾).

وقوله: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ (الإسراء - ﴿٣٠﴾).

ما وجه الكلام بالمشي ثم قوله: كريماً في الأولى، والكلام بالجمع في الثانية وقوله: (ميسوراً).

الإجابة والله أعلم:

لا خلاف على أن الأولى عن الوالدين: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أما الثانية فمن

آداب رد السائل - إذا جاءك وليس معك ما تعطيه - أن تقول له قولاً ميسوراً، ودليل ذلك أنه

قال قبلها في ذات الآية: ﴿وَلَمَّا تَعْرِضْنِ عَنْهُمْ أَبْتَغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا...

﴾، قيل إن الرحمة هي الرزق تنتظره ^(٢) من الله حتى تعطى هذا السائل، والله أعلم.

١٠- قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ

(١) السنن الكبرى للنسائي (ج ٨/ص ١٤٦).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٠/ص ٢٤٨).

لِلْأَوَّيْنِ غُفُورًا ﴿٢٥﴾ (الإسراء - ٢٥).

وقوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ^ط إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ^ج وَمَا

أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (الإسراء - ٢٥):

لأن من الأبناء مَنْ يبرّ أبويه، وهو يدعو الله في نفسه أن يُريجه منهما، فجاء الخطاب بصيغة

الجمع: {رَبُّكُمْ} أي: رب الابن، وربّ الأبوين؛ لأن مصلحتهم عند الله سواء^(١).

(١) خواطر الشعراوي (ج ٤/١ ص ٨٤٧٨).

الإسراء / الرحمن

قوله: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء - ٨٨).

وقوله: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ (الرحمن - ١٣).

قلت والله أعلم:

قدم الإنسان في الأولى لتمييزهم عن الجن في البيان وعلم الكلام، وقدم الجن في الثانية لتفوقهم في القدرات الخارقة لطبيعة الإنسان، والله أعلم.

سورة الكهف

١- جاء في سورة الإسراء: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء - ٩).

أما ما ورد في سورة الكهف: ﴿فِيمَا لِّنِذْرَ بَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ (الكهف - ٢).

انظر بند (٢) في الإسراء:

٢- ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (الكهف - ١١).

خص الأذن لأنها الحاسة التي تعمل حتى عندما ينام الإنسان وهي أول حاسة تتكون عند الطفل

المولود، فإنه يسمع أولاً ثم يرى بعد ذلك.

٣- قوله: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (الكهف - ١٢).

و قوله: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءً

السَّبِيلِ﴾ (القصص - ١٣).

الإجابة والله أعلم:

في القصص خرج موسى لا يقصد وجهة معينة بعينها، فهو لا يسأل الهداية لمكان بعينه لذلك

قدم (رَبِّي) وآخر (أَنْ يَهْدِيَنِي) ^(١).

٤- سبب قول الله: ﴿وَأَزْدَادُوا تَسْعًا﴾ (الكهف - ٢٥).

التسع سنين هي فرق التقويم الهجري والميلادي.

٥- في قصة الخضر قال مع السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾ ومع الغلام:

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾، وفي الجدار: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

الإجابة والله أعلم:

أراد الخضر عليه السلام أن ينسب الفعل المعيب وهو حرق السفينة إلى نفسه لا إلى الله، أما في الثانية فنسب القتل لنفسه (فأردنا) والمنة نسبها إلى الله (أن يبدلها ربهما) وفي الجدار ففيه أمر غيبي مستقبلي وهو قوله (يبلغا أشدهما) فقال (فأراد ربك) ^(٢).

(١) أوردتها الإمام الشعراوي رحمه الله في خواطره بإسهاب عن ذلك (ج ١٧/ص ١٠٩٠٢).

(٢) لمسات بيانية (ج ١/ص ٧٤٠).

لطيفة لبعض العلماء: وكان الخضر عندما قال: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا...﴾ نادى عليه مناد:

(وهل لك إرادة؟) فقال في الثانية: ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا﴾، فنودي عليه: (وهل أشركت إرادتك مع إرادة الله) فتجرد تماما في الثالثة ووكّل الأمر كله لله، فقال: ﴿فأراد ربك﴾.

لذلك قال: ﴿وما فعلته عن أمري﴾^(١).

٦- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا

لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف - ﴿٦﴾).

قيل والله أعلم:

إن قول موسى عليه السلام: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وضح - مدى إثارة الغير على النفس

- الذي يتصف به موسى حيث انصرف جل همهم إلى أصحاب السفينة ولم يذكر نفسه.

٧- ﴿فَمَا اسْطَبْعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَبَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ (الإسراء - ﴿١٧﴾).

الإجابة والله أعلم:

من قواعد البلاغة أن الزيادة في المبني زيادة في المعنى، فتعبير (اسْتَطَبَعُوا) فيه حرف (تاء) زيادة

على (اسْطَبَعُوا)، ومعلوم أن (لَهُ نَقْبًا) أصعب من (أَنْ يَظْهَرُوهُ)؛ لأن خرق حائط

أصعب من تسلقه، لذلك ناسب (أَنْ يَظْهَرُوهُ) قوله: (اسْطَاعُوا) لأنه أسهل، وكذلك ناسب: (لَهُ نَقْبًا)

(١) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد السلمي (ج ١/ص ٤١٧) بتصرف كثير.

نَقَبًا) قوله: (أَسْتَطْعُوْا)^(١).

٨- لطيفة تذكر والله أعلم بصحتها:

في حكم السكت عند حفص في التقاء (عوجا) مع (قيماً) (انتبه إلى أن ألف عوجا ساكنة وليس عليها تنوين - أى إذا وصلت الآيتين فاحذر أن تنون الألف - وإن كان وصل الآيتين غير حسن في المعنى، وقد يوهم معنى لا يستقيم؛ ذلك أنه حال الوصل قد يوهم بوصف العوج بأنه قيم، لذلك فالوقف أولى.

٩- مسألة في الرسم العثماني^(٢): صحب - صاحب:

في الآية (٣٤) من سورة الكهف يقول الله سبحانه على لسان صاحب الجنتين: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (الكهف - ﴿٣٤﴾).

حيث جاءت كلمة (لِصَاحِبِهِ) بألف متروكة لتبين ما كان يظنه مالك الجنتين من أن صاحبه ملتصق به التصاقاً كاملاً سواء في الرفقة أو الإيمان...

غير أن الرد يأتيه من صاحبه المؤمن في الآية (٣٧) من نفسها السورة: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ

وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ حيث جاءت كلمة (صَاحِبُهُ) بألف صريحة فارقة لتوضح لقارئ القرآن أن هذه الصحبة في الرفقة فقط، وأما في الإيمان فهناك افتراق ومسافة بينهما.. وقد جاء هذا المعنى أيضاً

(١) أسرار البيان للسامرائي (ج ١/ص ١١).

(٢) ما ذكر عاليه جزء من كتاب الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.

لعلي بن نايف الشحود، الباحث في القرآن والسنة.

هذا الكتاب قد جمع فيه مؤلفه ما تناثر من الإعجاز اللغوي والبياني مما كتب على الت وقد بلغت حوالي مائة وأربعين بحثاً لعلماء أجلاء معاصرين، فجزاهم الله خير الجزاء.

بحيث تكون هذه الأبحاث إسهاماً منهم في توضيح فكرة الإعجاز اللغوي والبياني في وقت أصبحنا

فيه كالأعاجم.

واضحاً في حق الرسول (ﷺ) حينما تُسب إلى قومه، فجاءت كلمة (صاحبكم) بالألف الصريحة مفرقة بينه وبين قومه في الإيمان، بالرغم من مصاحبتهم لهم في المكان والزمان.. وذلك في الآيات الكريمة الآتية:

﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جَنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾ [النجم: ٢].

﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير: ٢٢].

﴿ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جَنَّةٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

﴿ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جَنَّةٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

غير أنه حين يتكلم القرآن الكريم عن سيدنا أبي بكر صاحب رسول الله تأتي (صاحبه) بألف متروكة لتبين مدى الالتصاق بينهما وتوضح الصحبة الحقيقية في الرفقة والإيمان:

﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وهذا يبين جزءاً من

الحكمة في كتابة الكلمة القرآنية باستخدام الألف الصريحة والمد بالألف المتروكة كما سبق أن أوضحنا^(١). هـ.

ولاحظ أنه كما يوجد إعجاز في التشابهات فأيضاً هناك إعجاز في تشابه الرسم واختلافه للكلمة الواحدة، فقد تأتي الكلمة بنفس النطق مع اختلاف الرسم، وقد يكون ذلك لاختلاف الروايات القرآنية مثل كلمة (سَلْجَر) في سورة طه، فهي تكتب بالألف الخنجرية لأنها تنطق (سحر) وتنطق (ساحر) باختلاف الروايات، وأيضاً في أمر التشابهات الذي يعيننا في هذا البحث

(١) من أراد التفصيل في أمر الرسم العثماني وإعجازه فليرجع إلى الكتاب المشار إليه ففيه تفصيل

ممتع، والكتاب موجود على المكتبة الشاملة تحت بند (علوم القرآن).

اختلاف الرسم مع اتحاد النطق له دلالات مختلفة كما وضع صاحب الكتاب المشار إليه في الفرق بين كلمتي (صاحب وصحب)، ولولا أننا لسنا بصدد تناول الرسم لوسعنا في هذا المجال، ففيه إعجاز وبلاغة تزيدك من الإحساس بجمال وروعة هذا القرآن، ونكتفي بذكر هذه اللطيفة:

وردت كلمة: (السَّمَوَاتِ) - بمشتقاتها المختلفة - بهذا الرسم بدون ألف صريحة ١٨٩ مرة في القرآن الكريم كله... ووردت مرة واحدة فقط بألف صريحة بعد حرف (و) بالرسم القرآني (سَمَوَاتٍ) وذلك في الآية الكريمة رقم (١٢) من سورة فصلت والتي يقول سبحانه فيها: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾^(١) (أيها): وردت (١٥٤) مرة كلها منادى إلا موضعاً واحداً في سورة الكهف.

وهو قول الحق عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ (الكهف- ﴿١٠﴾).

(١) ارجع إلى تفصيل ذلك في الكتاب المشار إليه.

سورة مريم

١- قول الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (مريم - ٧).

ثم قول الله محدثاً عن ذاته تبارك وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (مريم - ١٥).

ما الحكمة من قوله سبحانه: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ عندما تحدث عن يحيى عليه السلام.

الإجابة والله أعلم:

في حق يحيى قال: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ لأنه لم يسم أحد بـ(يحيى) من قبله ^(١).

وقال الله في حق ذاته سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

الإجابة:

لقد سمعنا وعلمنا عن من يدعى الألوهية، فمنهم من قال (أنا ربكم الأعلى) ومنهم من سمي نفسه (رحمان اليمامة)، ولكننا لم نسمع عن من تجرأ فسمى نفسه (الله)، وهذا من إعجاز القرآن، فسبحانك (ربنا) ليس لك سمي ^(٢).

لطيفة حول قوله سبحانه: ﴿جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ﴿جَبَّارًا شَقِيًّا﴾

وقوله في قصة يحيى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم - ١٤).

وقوله في المسيح: ﴿وَلَمْ تَجْعَلْنِي﴾ (مريم - ١٧).

(١) روح البيان (ج ٥/ص ٢٤٢).

(٢) التحرير والتنوير (ج ١٦/ص ١٤٣) بتصريف كثير، وخواطر الشعراوي (ج ١٥/ص ٩٠٣٣).

الإجابة والله أعلم:

ذكر القرطبي ^(١) في التفسير أن يحيى عليه السلام لم يعص ولم يقترب ذنباً، وذكر **الكرمانى** ^(٢) في كتابه (البرهان) أن ذلك الخبر قد ورد عن النبي ﷺ: (ما من أحد من بني آدم إلا أذنّب أو هم بذنب إلا يحيى بن زكريا عليهما السلام ^(٣))، فناسب ذلك قوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (مريم -

قلت والله أعلم:

من الأشياء التي يكتبها الملك عندما يكون الجنين في رحم أمه أنه يكتب ما قدره الله لهذا الجنين (شقي أم سعيد)، فقد يكون من أجل ذلك قرن لفظ (شَقِيًّا) مع لفظ (وَلَمْ تَجْعَلِيْ).
٤- قوله في قصة يحيى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

(مريم - ﴿٥٠﴾).

وقوله في المسيح: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾

(مريم - ﴿٢٣﴾).

الإجابة والله أعلم:

نكر في الأولى وعرف في الثانية؛ لأن الأولى من كلام الله سبحانه عن يحيى، والقليل من الله كثير ^(٤).
وقيل: إن (آل) في قول عيسى عليه السلام: "والسلام" عهدية، كأنه يقول: إن السلام المذكور

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١١/ص ٧٣).

(٢) البرهان للكرمانى (بند ٢٩٠ ص ١١٢).

(٣) مسند ابن أبي شيبه بلفظ مختلف (ج ١١/ص ٥٦٢).

(٤) ارجع إلي تفصيل ذلك في البرهان للكرمانى (ص ١١٢/بند ٢٩١).

ليحيى إنما هو عليٌّ أيضاً، أو أن تكون للجنس، فعلى ذلك يكون جنس السلام على عيسى عليه السلام، وهو أشمل وأبلغ وأعظم نعمة.
قال أحمد عريف - مختاراً القول الثاني:

وَقَوْلُهُ فِي خَبَرِ يَحْيَى (وَسَلَامٌ) ^(١) نَظِيرُهُ فِي قَوْلِ عَيْسَى: (وَالسَّلَامُ) ^(٢)
فَقِيلَ: إِنَّ (أَلْ) فِيهَا لِلْعَهْدِ كَأَنَّهُ يَقُولُ: هَذَا عِنْدِي
وَقِيلَ: إِنَّ (أَلْ) فِيهَا لِلْجِنْسِ وَهَذَا مَا اخْتَارَهُ بِنَفْسِي

٤- قوله سبحانه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا

﴾ (مريم - ١١)

وقوله سبحانه: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (مريم - ٢٢).

الإجابة والله أعلم: ذكر القرطبي نقلاً عن الطبري وأيضاً ذكر ابن عباس رضى الله عنهما معنى متقارباً مختصره: (أن النصارى يقدسون جانب الشرق لأنه منه تسطع الأنوار، أي شروق الشمس، وذلك أن مريم كانت موقوفة لخدمة الدير فاعتزلت الناس للعبادة وكانت في شرق الدير. أما الآية الثانية فمعلوم أن مريم ذهبت إلى مكان قصي في بيت لحم على بعد ٤ أميال من إيلياء فلسطين حالياً) ^(٣).

٥- قوله سبحانه: ﴿.. وَهُمْ رَزَقُهُمْ فِيهَا بُكَرَةً وَعَشِيًّا﴾ (مريم - ٢٢).

(١) في قوله تعالى في سورة مريم عن نبيه يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ آية ١٥.

(٢) أي قوله تعالى في نفسها السورة حكاية عن نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ آية ٣٣.

(٣) تفسير القرطبي (ج ١١/ص ٩٣).

لطيفة من أقوال السلف حول الآية:

سُئِلَ سهل بن عبد الله التستري عن الرجل يأكل الوجبة الواحدة فقال: هذا طعام الأنبياء، وسُئِلَ عن الرجل يأكل الوجبتين فقال: هذا طعام المؤمنين -وقد يكون والله اعلم قد استند إلى هذه الآية- ثم سُئِلَ عن الرجل يأكل الثلاث وجبات فقال: (قولوا لأهله بينوا له معلفًا)^(١).

سورة طه

١ - لطيفة:

ذكر اسم الله الذي وردت بعض الأحاديث أنه الاسم الأعظم للملك سبحانه (الحي القيوم) ورد في القرآن في ثلاثة مواضع (البقرة/ آل عمران/ طه).

٢- ذُكرت قصة موسى عندما آنس ناراً هنا وفي النمل والقصاص بسياق مختلف في كل مرة بمترادفات وألفاظ قد تشبه على الحفاظ فالآتي بعض منها:

قال هنا: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى﴾ (طه - ﴿١﴾).

وفي النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَ اتِيكُم مِّنْهَا خَبَرٌ أَوْ

آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل - ﴿٧﴾).

فكرر: آتيكم وقال قبس، ولم يقل: امكثوا.

أما في القصاص: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ

جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصاص - ﴿٢٩﴾).

(١) كتاب الفوائد لابن قيم الجوزية (ج ١/ص ١٧٩).

فما الحكمة من قوله: (امكثوا) وقال: (جذوة) بدل (قبس) ولم يكرر (ءاتيكم)؟

الإجابة والله أعلم:

في النمل من شدة تيقن موسى أنه يرى ناراً قال: (شهاب قبس)، والشهاب القبس عبارة عن شعلة النار قبل أن تحمد، لذلك ناسبه أن يكرر مرتين (سآتيكم) وأيضاً لم يقل: (امكثوا) لأنه يتيقن من سرعة عودته.

وفي طه والقصاص لم يكن على درجة اليقين نفسها من أنها ما زالت ناراً فقد تكون خمدت فسار الشهاب (جذوة) لذلك لم يكرر (سآتيكم) وقال: (امكثوا) وقال: (لعلّي) وقال: (قبس) فقط ولم يقل: (شهاب قبس)، ومعنى قبس عند القرطبي (قطعة من الجمر.. أي بدون نار) تماماً كما قال في القصاص (جذوة)، والله أعلم بمراده^(١).

٣- قوله سبحانه: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (طه - ﴿٧٠﴾).

وفي سائر القرآن: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

الإجابة والله أعلم:

هذه المسألة مثار جدل من خصوم الإسلام، يقولون: ماذا قال السحرة بالضبط؟ أقالوا الأولى أم الثانية؟ ولك أن تتصور جمهرة السحرة الذين حضروا هذه المعركة، فكان رؤساؤهم وصفوهم سبعين ساحراً، فما بالك بالمرعوسين؟ إذن: هم كثيرون، فهل يُعقل مع هذه الكثرة وهذه الجمهرة أن يتحدوا في الحركة وفي القول؟ أم يكون لكل منهم انفعاله الخاص على حسب مداركه الإيمانية؟

لا شك أنهم لم يتفقوا على قول واحد، فمنهم من قال: ﴿..ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ

وَمُوسَى﴾ (طه - ٧٠)، وآخرون قالوا: ﴿..ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ (٧٠) رَبِّ مُوسَى

وَهَارُونَ الشعراء. ولم يفتن إلى أن فرعون قد ادّعى الإلهية وقال (أنا ربكم الأعلى)؛ فرما يفهم

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٥/ص ٩٢٢٨) - بتصرف.

من قوله: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ (الشعراء - ٤٨)، ربما يُفهم أنه فرعون، فهو الذي ربي موسى وهو صغير.

وأخر قد فطن إلى هذه المسألة، فكان أدقَّ في التعبير، وأبعد موسى عن هذه الشبهة، فقال: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (طه - ٧٠) وجاء أولاً بهارون الذي لا علاقة لفرعون بتربيته، ولا فضل له عليه، ثم جاء بعده بموسى.

إذن: هذه أقوال متعددة ولقطات مختلفة لاجتماع جماهيري لا تنضبط حرركاته، ولا تتفق تعبيراته، وقد حكاها القرآن كما كانت؛ فليس لأحد بعد ذلك أن يقول: إنَّ كان القول الأول صحيحاً، فالقول الآخر خطأ أو العكس.

وما أشبه هذا الموقف الآن بمباراة رياضية يشهدها الآلاف ويُعلِّقون عليها، تُرى أتتفق تعبيراتهم في وصف هذه المباراة؟^(١)

٤ - لطيفة في قصة هارون وموسى في سورة طه:

قلت والله أعلم:

عندما تحدث فضيلة الإمام الشعراوي في خواطره عن سبب تقدم ذكر هارون على موسى في هذا الموضوع، وقال إن هذا قول مجموعة من السحرة أكثر فقهاً وعلماً من غيرهم.

فهناك لطيفة يجدر ذكرها وهي أن الله قد أمر نبيه في هذه السورة أن يقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي

عِلْماً﴾ (طه - ١١٤).

ويذكر أن الله لم يأمر من نبيه بطلب الزيادة من شيء إلا العلم.

٥ - قوله: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي﴾ (طه - ٢٩).

قيل: إن أعظم دعوة دعاها أحد لأحد هي دعوة موسى أن يجعل الله أخاه هارون نبياً، إلا أننا لا

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٥/ص ٩٣٢٣) - بتصرف.

ننسى أن نبينا المصطفى صلي الله عليه وسلم قد اختبأ دعوته شفاعاً لأمته يوم القيامة، اللهم صل عليه صلاة تكون لك رضاً ولحقه أداءً مادامت السماوات والأرض.

سورة الأنبياء

١- مسألة حول (العب واللغو) و(الحق):

* قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ

﴿٢﴾ **لَا هِيَ** قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ (الأنبياء - ﴿٢﴾).

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا **لِعِبِينَ**﴾ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ

نَتَّخِذَ **لَهُوَ** لَا تَخَذْنَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ﴾ (الأنبياء - ﴿١٧﴾).

لاحظ تعاقب اللعب ثم اللغو في موضعين متتاليين في السورة؛ أما في الدخان في قوله سبحانه:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ (الدخان - ﴿١٠﴾)، فناسب قوله بعد ذلك: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا **لِعِبِينَ**﴾ ﴿٢٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ

وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾.

وناسب كملة (شك) أن يكون الرد عليها (الحق) والله أعلم بمراده سبحانه.

٢- قوله سبحانه: ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء - ﴿٦١﴾).

قال بعض أهل العلم:

إن أفراد كلمة (فتى) هنا فيها لفت نظر شديد إلى قوة اليقين والثبات، فإبراهيم وحده في هذا الموقف

لا يخشى بطش القوم ولا جبروتهم ولا عددهم، بل يتحرك وحده لمواجهة صناديد الكفر، وانظر إلى

قوة اليقين القلبي وهو بين السماء والأرض في طريقه إلى النار التي أشعلها قومه له بعد أن ألقى بالمنجنيق فيقول: (حسبي الله ونعم الكيل)، لذلك فاز بميزة لم ينلها إلا هو والمصطفى (ﷺ)، وهي ميزة الخلقة.

٣- قوله سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۚ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (الأنبياء - ٩٠).

قلت والله أعلم:

من المعلوم أن المرأة العاقر لن تلد إلا إذا برئت من هذا العقم، وهذا بالقوانين الأرضية، أما من بيده مقاليد الأمور فالأمر يختلف معه سبحانه، لذلك حتى لا يتعلق القلب بالنعمة وينسى المنعم ولا يتعلق الإنسان بالسبب وهو قوله: ﴿وَأَصْلَحْنَا﴾ وينسى رب الأسباب، فلذلك قدم سبحانه قوله:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ ليقر في القلب أن هذا الأمر منه منة وهبة ثم يأتي بالسبب: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾.

ولابن قيم الجوزية في هذا المقام كلام قيم يحسن ذكره هنا: (لو كشف الله الغطاء عن عطفه ولطفه وصنيعه لك من حيث تعلم ولا تعلم لذاب القلب في محبة الله ولتقطع القلب شوقاً للقاء الله، ولكن حجب القلوب عن ذلك إخلاد النفس إلى عالم الشهوات وتعلقها بالأسباب) (١).

(١) طريق المهجرتين وباب السعادتين (ج ١/ص ٢٨١).

الأنبياء / المؤمنون

* قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢)

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ﴾ (الأنبياء - ٩٢).

وقوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا

أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون - ٥٢).

الإجابة والله أعلم:

﴿فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) وَتَقَطَّعُوا...﴾ **بالواو** في الأنبياء، وفي المؤمنون: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢)

فَتَقَطَّعُوا﴾ **بالفاء**؛ لأن الخطاب هاهنا أعم **والعبادة** أعم من **التقوى**؛ وأيضاً الخطاب يتناول

الكفار وقد وُجد منهم التقطع قبل هذا القول، وفي سورة المؤمنون الخطاب للنبي ﷺ - وللمؤمنين

بدليل قوله: ﴿يَتَأْتِيَها الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا

تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون - ٥١)، ثم قال في موضع يلي هذه الآية **(فَتَقَطَّعُوا)** (المؤمنون -

٥٢).

أى ظهر منهم - أى من أمتهم - التقطع بعد هذا القول؛ ولأن التقطع منهم أغرب أكده بقوله

(زُبُرًا) ^(١).

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (ج ٥/ص ٥٣).

الأنبياء / العنكبوت

*- قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء - ﴿٨٦﴾

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ العنكبوت



قلت والله أعلم:-

(عندما ذكر ابن القيم أن ثمة فرقا بين الذين عملوا الصالحات وعباد الله الصالحين)، فهناك منزلة عباد الله

الذين أدخلهم سبحانه وتعالى في رحمته، وهى قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ

الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء - ﴿٨٦﴾).

سورة الحج

١- قوله: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا

وَبِعَرْ مُعْطَلَةٍ وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ (الحج - ﴿٤٥﴾).

وقوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ

﴾ (الحج - ﴿٤٨﴾).

قال الطاهر بن عاشور:

عَطْفُ جُمْلَةٍ: (فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) [الحج: ٤٥] - بِإِلْفَاءٍ - وَعَطْفُ جُمْلَةٍ (وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ) - بِالْوَاوِ - فَلَأَنَّ الْجُمْلَةَ الْأُولَى وَقَعَتْ بَدَلًا مِنْ جُمْلَةٍ (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)

[الحج: ٤٤] فَقرِئَتْ - بِالفَاءِ - التي دَخَلَتْ نَظِيرُهَا عَلَى الجُمْلَةِ المُبْدَلِ مِنْهَا، وَأَمَّا هَذِهِ الجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ فَحَلِيَّةٌ عَنْ ذَلِكَ، فَعُطِفَتْ بِالْحَرْفِ الْأَصْلِيِّ لِلْعُطْفِ^(١).

قلت والله أعلم:

عادة ما تستخدم الفاء للسرعة، أما الواو فقد تفيد التراخي، لذلك قد يكون التعبير بالفاء جاء مع الإهلاك في قوله: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ (الحج - ٤٤).

أما التعبير بالواو فقد جاء مع الإمهال في قوله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَّيْتُ لَهَا..﴾ (الحج - ٤٤).

٢- قول الله: ﴿لَقَوِيَّ عَزِيزٌ﴾ بزيادة حرف اللام لم يأت في القرآن إلا في موضعين؛ وكلاهما في الحج:

قوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج - ٤٤).

وقوله: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج - ٤٤).

ولسائل أن يسأل عن وجه الإنفراد بزيادة اللام هنا دون سائر القرآن.

قلت والله أعلم:

إذا تأملت آية سورة الحديد وآية سورة محمد:

قوله: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾

(محمد - ٧).

(١) التحرير والتنوير (ج ١٧/ص ٢٩٣).

وقوله: ﴿وَلْيَعْلَمْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾

(الحديد - ﴿٢٥﴾).

في سورة محمد مشروطة: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾، أما آية الحج فمقرونة بلام القسم ونون التوكيد. ا.هـ.

قال د. فاضل السامرائي: آية الحديد فيمن ينصر الله، وفي آية الحج وضح أن الله تعالى هو الذي ينصر المستضعفين وهذه الآية - أى آية الحديد - في سياق الإذن للمؤمنين بالجهاد، ثم وعدهم بالنصر المؤكد، فجاء قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(١).

٣- قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ (الحج - ﴿٢٨﴾).

وقوله: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج - ﴿٢٨﴾).

قيل إن العلماء قد أخذوا هذه الآية - اجتهداً منهم - على استحباب تقسيم الهدى إلى نصفين أو تقسيمه على ثلاثة أثلاث، واختلف قول الشافعي، فمرة قال: يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج: ٢٨] فذكر شخصين. وقال مرة:

يأكل ثلثاً ويهدي ثلثاً ويطعم ثلثاً، لقوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾

[الحج: ٣٦] فذكر ثلاثة^(٢).

(١) لمسات بيانية (ج ١/ص ١٩٢) بتصرف.

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٢/ص ٤٧).

الحج / العنكبوت

* - جاء قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا

عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج - ٤٧).

وجاء قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ

وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (العنكبوت - ٥٢).

قلت والله أعلم:

في الحج مناسبة لأول السورة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ

شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ (الحج - ١٠١).

وقوله: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج - ١٠٢).

وعد من الله بأن الساعة آتية فناسبه: ﴿وَلَنْ تُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾.

سورة الحج / فاطر

٢- قوله: ﴿...تُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿٢٢﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ (الحج - ﴿٢٤﴾).

وقوله: ﴿...تُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ

﴿٢٢﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ..﴾ (فاطر - ﴿٢٤﴾).

الإجابة والله أعلم: ذكر القرطبي^(١) ما أورده الطبري - وكذلك ذكر الماوردي^(٢) هذا الأثر عن الكلبي - أن طيب القول هو قولهم في الدنيا: (لا إله إلا الله والحمد لله) وفي الآخرة: (الحمد لله). وقال النحاس^(٣): هو قولهم يوم القيامة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا..﴾ وقولهم: ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾.

قلت والله أعلم: كأن الموضوع الثان في فاطر تفصيل لماهية هذا القول الطيب.

أو قد يكون والله أعلم: أنه في الحج توسط آيات الحديث عن الكفار فليس موضع تفصيل، أما في سورة غافر فقد تحدث قبلها في (٨) آيات عن عباد الله الصالحين فهو مقام تفصيل، حتى عندما قال: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾، فبالرغم من ذلك إلا أنهم مصطفون من الله، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ ذَنْبًا قَدْ اعْتَادَهُ الْفَيْئَةُ بَعْدَ الْفَيْئَةِ، وَذَنْبًا لَيْسَ بِتَارِكِهِ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ تَقُومَ

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٢/ص ٣١).

(٢) النكت والعيون للماوردي (ج ٣/ص ٧٣).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (ج ٣/ص ٩٢).

السَّاعَةِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ خُلِقَ مُذْنِبًا خَطَاءً نَسِيًّا، إِذَا ذُكِرَ ذَكَرَ " (١) ا.هـ. (٢).

المؤمنون

١- ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ خَيْلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (المؤمنون - ١٩).

﴿لَّكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (الزخرف - ٧٢).

بدون حرف الواو وبإفراد (فاكهة).

الإحابة والله أعلم:

الأولى: جنات وفواكه الدنيا، فهناك محذوف تقديره: (ومنها تعصرون وتتخذون سكرًا وتخزون..).
أى أن أغراضها متعددة لذلك أتى بالواو.

أما أية الزخرف فهي فاكهة الآخرة، وفي الآخرة أنت في غنى عن عمل كل هذا فكل ما تشتهيجه تجده أمامك بلا عناء، فلا تحتاج أن تعصر أو تتخذ سكرًا كما في فاكهة الدنيا (٣).

٢- قوله: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَتَقَطُّعُوا

أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون - ٥٢).

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢)

(١) كتاب شعب الإيمان للبيهقي (ج ٩/ص ٣٢٩).

(٢) هذه الخاطرة مستوحاة من دروس شرح العقيدة الطحاوية للشيخ محمد حسين يعقوب.

(٣) سبق ذكرها بالتفصيل في المقدمة تحت عنوان (فائدة هامة في قواعد الفتح على الإمام).

وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ^ط كُلُّ إِلَيْنَا رَاغِبُونَ ﴿٩٢﴾ (الأنبياء - ٩٢)

الإجابة والله أعلم:

بند ١ في الأنبياء:

٣- قوله: ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون - ٦١).

و لم يقل: يسارعون إلى الخيرات، أى أنهم والله أعلم، بالفعل موجودون في حيز الخيرات، ويترقون إلى مراتب أعلى^(١).

و قيل: هى دليل أن الصلاة أول وقتها أفضل^(٢).

النور

١- هناك لطيفة ذكرها فضيلة الإمام الشعراوى في الربط بين ختام سورة النور مع بداية سورة الفرقان:

قال سبحانه في الآية الأخيرة في سورة النور: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^ط قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْزِلُهُمْ بِمَا عَمِلُوا^ط وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور - ٦٤).

ثم قال في مطلع الفرقان: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (الفرقان - ٢).

وهذا يسمى في اللغة المظروف: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والظرف ﴿مُلْكُ

(١) خواطر الشعراوى (ج ١٦/ص ١٠٠٦٩).

(٢) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٢/ص ١٣٢).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى أن الله له ملكية المظروف - والمظروف هو الشيء الذي تضعه داخل ما يعرف بظرف البريد - مثل الخطاب الذي تضعه في الظرف، ففي الآيتين جمع الملك كله لله (١).

٢- في السورة لفت نظر شديد لأهمية اتباع وطاعة الرسول (ﷺ)، ولاحظ ذلك في الآيات من (٤٧ إلى ٥٦) على نمط لم يتكرر في أى موضع في القرآن والله أعلم، فتأمله.

٣- الآية - (٥٣) ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا

تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور - ختمت بقوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لأنه قال في موضع آخر: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ

الَّذِي تَقُولُ﴾ (النساء - ٨١).

الفرقان

١- سياق وترتيب الآيات والمواقف في السورة قد تدعو إلى التساؤل: ما الحكمة من هذا الترتيب...؟

١- ذكر موقف قريش مع النبي (ﷺ): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان - ١٠).

٢- ذكر قصة موسى.

٣- ذكر قصة نوح.

(١) خواطر الشعراوى (ج ١٧/ص ١٠٣٦٠).

الإجابة والله أعلم:

ذكر قصة موسى مباشرة بعد النَّبِيِّ (ﷺ) تسلياً للنَّبِيِّ، لأن النَّبِيَّ لقي قوماً لا يؤمنون بالإله، أما موسى فلقي فرعون الذي يدعي أنه الإله^(١).

ثم ذكر قصة نوحاً، بعد موسى لاشتراك كل منهما في معجزة الماء التي أنجى الله بها موسى ونوح وبها أيضاً أهلك فرعون وقومه والمكذبين من قوم نوح.

٢- وقفة مع أسماء الله الحسنى في سورة الفرقان:

قول الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ...﴾ (الفرقان-٥٨).

من المعلوم أن الحي حتماً سيموت (سوى الله) واسم **الحي** عادة يأتي مقروناً بالقيوم، (الحي القيوم) (وقد أتت في ثلاثة مواضع في القرآن لا رابع لهم (البقرة/آل عمران/طه)، فما الحكمة من أنه سبحانه هنا بعد قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ﴾ قرن كلمة الحي بقوله: ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾.

الإجابة والله أعلم كما ذكرها العلامة الشيخ أبو إسحاق الحويني في خطبة (هل تعرف الله):

إن من يعتمد ويتوكل على شخص للإتفاق عليه ومساعدته إذا مات هذا الشخص فتلك مصيبة للذي كان يعتمد عليه وينتظر منه الرزق والإحسان، فهنا عليه أن يتذكر أن الله حي ولكن حياته مباينة - مختلفة - عن حياة المخلوقين، فهو حي لكنه لا يموت سبحانه، فالتوكل لا ينبغي إلا عليه.

قال الشاعر:

كل حي سيموت ليس في الدنيا خلود... حركات وسكنات ثم يتبعها خفوت

٣- مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ (الأنعام-٦٨).

فإذا قيل: هل لجهنم عينان؟؟ وما دليله من القرآن...؟

الإجابة والله أعلم:

قوله سبحانه: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان -

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٧/ص ١٠٤٤٠).



وله شاهد من أحاديث النَّبِيِّ (ﷺ):

روى مرفوعاً أن رسول الله (ﷺ) قال: " من كذب على متعمداً فليتبوأ بين عيني جهنم مقعداً " قيل: يا رسول الله! ولها عينان؟ قال: " أما سمعتم الله عز وجل يقول: ﴿... إِذَا رَأَيْتَهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول: وكلت بكل من جعل مع الله إلهاً آخر، فلهو أبصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه". وفي رواية: " فيخرج عنق من النار فيلتقط الكفار لقط الطائر حب السمسم " ذكره رزين في كتابه، وصححه ابن العربي في قبسه، وقال: أي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطائر حب السمسم من التربة. وخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (ﷺ): " يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلهاً آخر وبالمصورين". وفي الباب عن أبي سعيد قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح^(١). هـ.

ذكر السيوطي والطبري^(٢) وابن كثير^(٣) كلاماً قريباً من ذلك.

(١) أحكام القرآن القرطبي (ج ١٣/ص ٨).

(٢) تفسير الطبري (ج ٢٤/ص ٣٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير (ج ٦/ص ٩٦).

الأنبياء / الفرقان

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي

يَذْكُرُ الْهَيْكَلُ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ (الأنبياء - ٦).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾

(الفرقان - ٤١):

قلت والله أعلم:

في الأنبياء ذكر الذين كفروا صريحاً وفي الفرقان كنى عنهم بواو الجماعة، وإذا تأملت في سياق السورتين ستجد أن كل موضع ناسب ما قبله، ففي الأنبياء قال في موضع قبلها: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا..﴾ (الأنبياء - ٢٢).

فناسبها: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا..﴾ (الأنبياء -

٦). أما في الفرقان: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ

اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ (الفرقان - ٤١). مناسب لما قبلها حيث كنى عنهم بواو الجماعة، ولم يصرح

فقال: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ﴾ / ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾، فناسبها أن يقول: ﴿

وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ والله أعلم.

الشعراء

١- قوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (الشعراء - ١٢).

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص - ٢٣).

قلت والله أعلم:

في الشعراء ورد قوله: (فقد **كذبوا**) أى قريش، وعلى مدار السورة جاء (**كذبت** قوم نوح/ **كذبت** عاد/ **كذبت** قوم صالح/ **كذبت** قوم لوط / **كذب** أصحاب الأيكة) وجاء في أواخر السورة (وأكثرهم **كاذبون**) فناسبها والله أعلم في هذا الموضع ما قاله موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾

﴿(الشعراء - ١٢)﴾.

أما في القصص فقد ذكر قبلها قصة **قتل** موسى للرجل من قوم فرعون فذكر في حديثه: ﴿

فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾

٢- قوله: ﴿فَأَتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ (الشعراء - ١٢)،

فيه مسألتان:

المسألة الأولى: سؤال فرعون لموسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَلَمِينَ﴾ (الشعراء - ١٢).

لماذا لم يأت السؤال من فرعون لموسى مباشرة: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَلَمِينَ﴾ وإنما جاء بعد فترة.

المسألة الثانية: اختلاف إجابة موسى باختلاف سؤال فرعون فهنا قال فرعون:

﴿.وَمَا رَبُّ الْعَلَمِينَ﴾.

أما في طه فقال: ﴿... فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ (طه - ٤٩)، فما الفرق بين (ما) و(من)؟

وما الحكمة من اختلاف إجابة موسى عليه السلام؟

جوابه والله أعلم:

قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء - ٢٣).

لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين من تقريره على التريية وغير ذلك حجة رجع إلى معارضة موسى في قوله: رسول رب العالمين، فاستفهمه **بـ (ما)** وهي **للمجهول من الأشياء**. قال **مكي وغيره**: كما يستفهم عن الأجناس فلذلك استفهم بـ "ما". قال مكي: وقد ورد له الإستفهام **بـ "من"** في موضع آخر ويشبه أنهما مواطن، فأتى موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق، وقد سأل فرعون عن الجنس ولا جنس لله تعالى، لان الأجناس محدثة، فعلم موسى جهله، فأضرب عن سؤاله وأعلمه بعظمة قدرة الله التي تبين للسامع أنه لا مشاركة لفرعون فيها (١).

٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي

عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ ۚ لَا قُطْعَنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ

وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء - ٤٩).

يُهدِّدهم بأسلوب ينم عن **اضطرابه**، وأنه فقد توازنه، احتلّ حتى في تعبيره، حيث يقول: ﴿

فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾ [الشعراء: ٤٩] **وسوف** تدل على المستقبل مع أنه لم يؤخر تهديده لهم

بدليل أنه قال بعدها:

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٣/ص ٩٨).

﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَا صَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩] ^(١).

٤- قوله: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ (الشعراء - ٥٩).

وقوله: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان - ٢٨).

الإجابة والله أعلم:

في الشعراء ذكر اسم موسى صريحاً في عدة مواضع، فناسب ذكر اسم موسى أن يذكر بني إسرائيل

فقال: ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أما في الدخان فلم يأت اسم موسى في السورة

كلها بل قال: ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾، فناسب ذلك أن لا يذكر بني إسرائيل، فقال: ﴿

كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الشعراء - ٥٩).

٥- ذكر في الشعراء قول إبراهيم لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ (الشعراء

وفي الصافات قول إبراهيم لقومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (الصافات -

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٤/ص ١٠٥٧٢).

الإجابة والله أعلم:

إن حرف (ما) يختلف في مفهومه عن كلمة (ماذا)، فالأولي توحى بالإيهام كأن السائل يريد من المسئول التوضيح، فعندما يقول إبراهيم لقومه (ما تعبدون)؟ هذا يقتضى منهم تفصيل في الإجابة عن هذا الذي يعبدون، وبالفعل جاء الرد منهم: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظْلُهَا عَكِيفِينَ﴾

(الشعراء - ٧١) .

أما عندما قال لهم: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ الصافات - ٨٥ فهذا يوضح شدة إنكاره عليهم فَعَلَهُمْ؛ ولذلك استمر في الكلام بعده فقال: ﴿أَيِفْكَآ إِلَهَآ دُونَ

اللَّهِ تَرِيدُونَ﴾ (الصافات - ٨٦) (١).

٦- في الشعراء قال: ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء - ١٥٤) .

وذلك في معرض الحديث عن قوم صالح ثم قال عن قوم شعيب: ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (الشعراء - ١٨٦) .

فما الحكمة من زيادة (الواو) هنا؟ الإجابة والله أعلم:

معروف أن شعيب خطيب الأنبياء، فلما أطال لهم الكلام فقام قومه أيضاً بإطالة الكلام فقالوا: (وَمَا أَنْتَ). أما مع صالح فأوجز لهم الكلام فأوجزوا في الرد (٢).

(١) البرهان للكرمانى (ص ١٣٣).

(٢) ذكر الكرمانى فى كتابه البرهان قولاً قريباً من ذلك (ص ١٣٣).

سورة النمل

١- قوله: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ^ص وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل - ١٠).

وقوله: ﴿إِن خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦).

فما علة تقديم القوى على الأمين...؟

في دراسة غربية قامت بها إحدى الدول الغربية: هل نختار (أكفأ الأمناء) أم نختار (أمن الأكفاء)، أى أنك لو كنت صاحب شركة وتريد الاختيار بين المتقدمين لوظيفة (ميرمج حاسب ألى) على سبيل المثال ستختار الأمناء أولاً ثم تختار أكثرهم كفاءة أم العكس، نختار الأكفاء أولاً ثم نختار أكثرهم أمانة، بعد تجارب وعناء طويل بذله هذا المعهد الغربي توصل إلى ما ذكره لنا العليم الحكيم سبحانه في كلمتين بترتيب لا يأتي إلا من لدن خبير فقال: ﴿الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾، فأنت تختار الكفاءة أولاً ثم الأمانة؛ لأن كفاءته ترجع على العمل بالفائدة وفجوره على نفسه، والله أعلم^(١).

٢- قوله: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل - ٢٢).

ما الحكمة من قوله سبحانه وتعالى علي لسان المهدد: ﴿امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ولم يقل تحكمهم.

(١) د. راغب السرجاني بتصرف.

قيل والله أعلم:

فرق بين أن تحكم شعب وبين أن تملكه فسياسة شعب أمر ليس بالهين فمعني أن ملكة سبأ تملكهم أي أنهم أصبحوا طوع بناها لا يعصون أمرها^(١).

٣- قوله: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل - ٤٤).

لم تقل أسلمت لسليمان وإنما قالت: ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ﴾، إذن فلا غضاضة في إيمانها، وذلك حتى لا يظن شعبها أنها ذهبت به إلى حضيض الذلة في أن يحكمهم إنسان آخر، لكن هي وسليمان محكومان لله رب العالمين، ولا غضاضة في ذلك، فأنا وأنت مسلمان لإله واحد هو الله رب العالمين، وهكذا يكون إسلام الملوك، وحتى لا يظن أحد أنها إنما خضعت لسليمان، لذلك احتاطت في لفظها لتزيل هذا الشك^(٢).

النمل / القصص

١- ذكرت قصة موسى عندما آنس ناراً في سورة طه وفي النمل والقصص بسياق مختلف في كل مرة بمترادفات وألفاظ قد تشبه على الحفاظ:-

ارجع إلى سورة طه البند ١

٢- لاحظ أن سورة النمل الآية -٨٨- قد ذكر الله سبحانه في الآية إتقانه لكل شيء: ﴿...صَنَعَ

اللَّهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل - ٨٨).

قلت والله أعلم:

ولم يرد مثله في القرآن وأيضاً قوله في نفس الآية: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ لم يتكرر

(١) خطبة عاقبة البغي للعلامة الشيخ أبي إسحاق الحويني.

(٢) من خواطر الشعراوي (ج ١٧/ص ١٠٧٩٢).

في القرآن، فهذا من الفرائد وتذكر أن الله قد كتب الإحسان علي كل شيء، والله أعلم
 ٣- قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص - ٦٠).

وقوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى - ٦٦)، بدون كلمة (زينتها).

قلت والله أعلم:

ذكر في القصص قصة قارون بعد هذا الموضع بوضع آيات: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾^ص
 ﴿فحسب أن يقول هنا أيضا وزينتها.

٤- ﴿..يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ...﴾ (القصص - ٨٦).

إذا تتبعنا ذكر الله لمسألة البسط والتقدير للرزق في القرآن تجدها علي ثلاث صور:

* ما ورد هنا في القصص، وهو علي سبيل الحصر، ولم يأت مثله في القرآن إلا هنا ﴿..يَبْسُطُ

الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ...﴾.

لاحظ زيادة كلمة (عباده)، وقوله (يقدر) ولم يقل (يقدر له)، فهذا صنف من الناس يبسط الله الرزق له مطلقاً فلا يقدر أو يضيق عليه، وقد جاء في القصص هذا السياق مناسباً لقصة قارون الذي بسط له فلم يقدر أو يضيق عليه حتى خسف به.

* الصورة الثاني وجاءت في موضعين في القرآن: ﴿..يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ ولم يأت إلا في العنكبوت وسبأ وهو بسط الرزق أحياناً وتقدير الرزق أحياناً أخرى.

* الصورة الثالثة وهي ما جاءت في معظم القرآن وتختص بالرزق للخلق جميعاً ﴿..يبسط الرزق لمن

يشاء ويقدر...» بدون (عباده) أو (له).

هـ- ذكر في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ...﴾ (النمل - ٨).

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ...﴾ (القصص - ٢٠).

قيل: إن الأدباء كانت تكره تكرار القافية في أقل من سبعة أبيات، وبما أن القرآن جاء متحدياً لقريش في أن يأتوا ولو بأية من مثله فكان لا بد ألا يخلوا من صنوف الأساليب البلاغية، حتى لا تقول العرب ما بال هذا القرآن خلا من هذا الصنف من البلاغة، لذلك عندما قال في النمل: ﴿..سَأَتِيكُمْ مِنْهَا نَخِيرٌ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (النمل -

٧).

قال **الكرمانى**^(١): فعندما كرر مرتين (ءَاتِيكُمْ) في النمل كره أن يأتي بها الثالثة للثقل فقال: ﴿

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ...﴾ (النمل - ٨).

(١) البرهان (ص ١٣٤) بتصرف.

النمل/العنكبوت

لقد ورد في القرآن قول قوم لوط بسياق مختلف في عدة مواضع وكما ذكرنا سلفاً فإن ورود القصة أو الآية أو مقطع من الآية بسياق مختلف له حكمة يعلمها مترل الكتاب سبحانه، وما هذه الإشارات إلا منارات على الطريق لتثبيت الحفظ.

قول الله سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ **ءَالِ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ** ﴿٥٦﴾ (النمل - ٥٦).

وقوله: ﴿...فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا **أَئْتِنَا** بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (العنكبوت - ٢٨).

قلت والله أعلم:

إذا تتبعنا (مادة الفعل **خرج**) في سورة **النمل** ستجد أنها قد وردت بتصريف مختلف ٤ مرات.

وإذا تتبعنا (مادة الفعل **أتى**) في سورة **العنكبوت** ستجد أنها قد وردت بتصريف مختلف (٨) مرات، والله أعلم.

فهذه علامة صعبة المستخرج، فاعلمها.

أما الموضع الثالث في الأعراف:

فقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا **أَخْرِجُوهُمْ** مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ (الأعراف - ٨٧):

فقد قال سبحانه: ﴿**أَخْرِجُوهُمْ**﴾ فكفي عنهم بالضمير في سورة الأعراف ولم يذكرهم، وقيل:

إن سورة الأعراف قد نزلت بعد العنكبوت، فلذلك أشار إليهم بالضمير لسالف ذكرهم في العنكبوت.

النمل / فصلت

قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ / ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾:

انظر البند (٣٩) في المبحث الأول.

سورة القصص

١- قوله: ﴿جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص - ٢٥).

قال بعض أهل العلم والله أعلم:

إن هذه الكلمات بها من الآداب وفنون البلاغة، ما تعجز الأنامل عن وصفه:

أولاً- إذا وقف القارئ على قوله سبحانه: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ فهذا يظهر الأدب والحشمة التي اتصفت به هذه المرأة في سيرها ومشيتها ولم يخرجها وشقيقتها إلا العذر القهري - وهو كبر سن الأب.

ثانياً: إذا وقف القارئ على قوله سبحانه: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ﴾، فهذا يضيف معنى آخر وهو الأدب والسمت العالی في الكلام، كما قال سبحانه في الأحزاب: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ

بِالْقَوْلِ...» فقد أوجزت المرأة الكلام في كلمات ولم تسرد الحديث).

ثالثاً: مضمون الكلام نفسه قاطع، فقد بدأت بكلمات واضحة الدلالة والمفهوم بما لا يُهم معني آخر وهو دعوة أيها موسى ليؤجره على السقيا.

فقد جمعت الآداب كلها في القول والفعل، فيا له من مثال يُحتذى به ونهديه لبنات هذا الزمان ونساء هذا العصر، اللهم أهد بناتنا وأولادنا إلى أحسن الأخلاق، فإنه لا يهديهم لأحسنها إلا أنت.

٢- قوله: «فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ **نَجَّوْتُ مِنْ**

الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (القصص - ﴿٢٥﴾).

ما المقصود بقوله: «**نَجَّوْتُ مِنْ** الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» (القصص - ﴿٢٥﴾).

قيل والله أعلم:

إن المنطقة التي توجه إليها موسى وهى مدين كانت خارج هيمنة وسيطرة فرعون، ولا يستطيع أن يناله فيها، لذلك قال له شعيب: «**نَجَّوْتُ مِنْ** الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ».

٢- «وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ **مَدْيَنَ** تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا

كُنَّا مُرْسِلِينَ» (القصص - ﴿٤٥﴾).

ما الحكمة من أن الله سبحانه خص أهل **مدین** في هذا الموضع:

إن أهل مدين قد عُرفوا بالمهارة في الكتابة وبرعوا فيها، والله سبحانه ينفي عن النبي (ﷺ) سابق

علمه بالكتابة^(١): «وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ

(١) من خواطر الشعراوي (ج ١٨/ص ١٠٩٤٠).

إِذَا لَارَّتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ (العنكبوت - ٤٨)

أيضاً في هذا الموضع ينفي عن النبي ﷺ سابق تواجده في أهل مدين تأكيداً لأمانة ﷺ التي هي شرف في حقه ونقص فيمن سواه، والله أعلم^(١).

٣- قال **سفيان الثوري**: (كلمة الوعيد لا تفسر للعوام)، وهذا ما يتضح لنا في اختلاف أسلوب دعوة قوم قارون له حيث أطلوا له الكلام، وفي هذا تفصيل ذكره الشيخ العلامة أبو إسحاق الحويني في خطبة (عاقبة البغي) أما عندما نصحوا للعوام فلم يفسروا وأوجزوا فقالوا: **﴿وَيَلَكُمْ﴾**.

٤- جاء قوله: **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾**

في موضعين في سورة القصص (آية ٦٢ و ٧٤)، تكرار ولكنه ليس بتكرار.

قلت والله أعلم:

في الأولى يناديهم الله ويسألهم عن شركائهم فينادي الكفار على الأصنام فلا يجيبوهم، أما في الثانية، فيناديهم الله: **﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾** فيصمتون ولا يجيبون، فأنت عندما توجه السؤال للشخص نفسه عدة مرات فعندما تنفذ إجاباته يقف عاجزاً حيران، وهذا عذاب نفسي، فيجتمع لهم نوعا العذاب البدني والنفسي.

٥- من المواضع التي على سبيل الحصر في القرآن وجاء في سورة القصص:

﴿ثُمَّ هُوَ﴾ لم تأت في القرآن إلا في هذا الموضع في القصص: **﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ**

الْمُحْضَرِينَ﴾ (القصص - ٦١).

وكما عند النحويين فإن **(هو)** قد يأتي **ضمير فصل** لتوضح أن ما بعده خبر وليس صفة، ولكنه في هذا الموضع مبتدأ.

(١) من خواطر الشعراوي بتصرف (ج ١٨/ص ١١٢٢١).

٦- ﴿..إِن خَيْرَ مَنْ أَسْتَعَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ (القصص - ٢٦).

ما الحكمة من ذكر (القوي) قبل (الأمين)؟

انظر البند (١) في القصص.

٧- قوله: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا

مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (القصص - ٧٢).

قد يتوهم السامع أن قوله: ﴿وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بأن النهار للسكون، ولكن كما هو معلوم فإن القرآن لم يخل من الأساليب البلاغية، وهذا الأسلوب يسمى في البلاغة (الف والنشر) فيتم جمع المحكوم عليه - الليل والنهار - في طرف والحكم في طرف - لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله^(١).

وقد يكون هناك معنى آخر للآية، والله أعلم بمراده.

(١) من خواطر الشعراوي (ج ١٨ / ص ١١٠٣).

القصص / فصلت

قوله في القصص: ﴿وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ (القصص - ٨٠).

وقوله في فصلت: ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت - ٢٥).

ما سر اختلاف السياق فقال مرة: ﴿الصَّابِرُونَ﴾، وقال في الأخرى: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾؟

قلت والله أعلم: انظر إلى ما أوردناه في لقمان والشورى من قوله سبحانه:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ وقوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ..﴾، وسبب زيادة (ولمن) في قوله:

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ أَعْزَمِ الْأُمُورِ..﴾ (الشورى - ٤٢).

وعلى شاكلتها - والله أعلم عندما ذكر في الشورى قوله: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ

أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (الشورى - ٢٤).

أى أن الجهة التي وقعت منها العداوة والظلم معلومة، فذلك يستلزم مقداراً أعظم من الصبر

فلذلك عبر بقوله: ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾، ومعلوم في البلاغة أن الزيادة في مبنى الجملة أو الكلمة

زيادة في المعنى، والله أعلم بمراده.

العنكبوت

١- لطيفة في الإعراب في الآية:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ (العنكبوت - ٢٥).

كلمة (مودة) لماذا لم تنون بالنصب بل حركت بالفتح....؟ وذلك في بعض الروايات. الإجابة: (مودة) مفعول لأجله منصوب بالفتحة (مضاف)، ومعلوم أن المضاف لا ينون، لأنه معرف، ومن العلامات الخمس التي تميز الاسم كما قال ابن مالك: التنوين، وهو يلحق النكرات، فكيف يجتمع متضادان (علامة تعريف وتنكير) على معمول واحد؟ لذلك حركت بالفتح.

٢- قوله: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ (العنكبوت - ٢٨).

و في الآية بعده قال: ﴿وَقَرَّوْا وَفَرَّعَوْا وَهَمَّسُوا﴾ (العنكبوت - ٢٨).
ما الحكمة من ذكر قارون قبل فرعون وهامان؟ ولم يتكرر ذلك في القرآن.

الإجابة والله أعلم:

إن قارون كان ممن يقرعون التوراة وعلى علم بها وحسن الصوت بها لذلك كان مستبصراً فجاء بكلمة

(مستبصرين) وقال بعدها: ﴿وَقَرَّوْا...﴾^(١)

٣- هل هناك فرقا بين الذين عملوا الصالحات، وعباد الله الصالحين...؟

ذكر ابن القيم أن ثمة فرق بينهما، وتجد ذلك في قول الله: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ (العنكبوت - ٦١)، اللهم أدخلنا وأهلينا

برحمتك في عبادك الصالحين.

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٣/ص ٣١٥).

٤- ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ العنكبوت - ﴿٥٦﴾

ما الحكمة في التذليل بقوله (فاعبدون)....؟

يقول سبحانه: ﴿فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦] فَإِنْ أَخَذْنَا بِمَبْدَأِ الْهَجَرَةِ، فَلَا بُدَّ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ لِلْهَجَرَةِ شُرُوطاً: أُولَاهَا: أَنْ تَهَاجِرَ إِلَى مَكَانٍ يُحْفَظُ عَلَيْكَ إِيمَانُكَ وَلَا يَنْقُصُهُ، وَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَلَدِكَ، هَلْ سَتَمُكِّنُ فِي الْمَهْجَرِ مِنْ أَدَاءِ أُمُورٍ دِينِكَ كَمَا أَوْجَبَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ؟ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَلَا مَانِعَ، وَإِلَّا فَلَا هَجَرَ لِمَكَانٍ يُخْرِجُنِي مِنْ دَائِرَةِ الْإِيمَانِ، أَوْ يَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ أَدَاءِ أَوْامِرٍ دِينِي.

كما أننا نلاحظ في قوله سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ...﴾ [العنكبوت: ٥٧] بعد ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦] أن الخواطر التي يمكن أن تطرأ على النفس البشرية حين يُشَرِّعَ اللَّهُ امراً يهيج هذه الخواطر مثل: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وما تثيره في النفس من حب الجمع والتملك، يجعل لك مع الأمر ما يهبط هذه الخواطر.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَايِقَةُ الْمَوْتِ...﴾ [العنكبوت: ٥٧]، حتى لا نطمع في حطام الدنيا، ويُلْهِينَا إغراء المال والهجرة لجمعه، فالنهاية بعد ذلك كله الموت، وفقدان كل ما جمعت^(١).

٥- فائدة في سورة العنكبوت متعلقة بكلمة العلم:

قسم العلماء القلب إلى ٤ أقسام (الفؤاد/اللب/الصدر/القلب) وذكرُوا أَنَّ الْعِلْمَ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، لِذَلِكَ فِي سُورَةِ الْعَنْكَبُوتِ قَالَ اللَّهُ: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ

بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ (العنكبوت - ﴿٤٩﴾)^(٢)

(١) خواطر الشعراوي (ج ١٨/ص ٤٤٤/١٢٤).

(٢) من كلام الشيخ محمد حسين يعقوب.

٦- قوله تعالى: ﴿..فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ (العنكبوت-١٢).

وفي غيره: (بَعْدَ موتها) بحذف (مِنْ)؟.

جوابه والله أعلم:

إن الأرض يكون إحيائها تارة عقيب شروع موتها، وتارة بعد تراخي موتها بمدة. فآية العنكبوت: تشير إلى الحالة الأولى؛ لأن (مِنْ) لا ابتداء الغاية، فناسب ذلك ما تقدم من عموم رزق الله تعالى خلقه. وآية البقرة والجاثية: في سياق تعداد قدرة الله تعالى، فناسب ذلك ذكر إحياء الأرض بعد طول زمان موتها لدلالته^(١).

٧- ورد في القرآن: ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ في عدة مواضع ولم يأت قوله: ﴿قُلْ

كُفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾^ط (العنكبوت - ٢٥) إلا في العنكبوت في ربع - ﴿ولا تجدلوا أهل الكتاب﴾ - فلقرب ذكره (الفريقين المؤمنين وأهل الكتاب) قدم (بيني وبينكم)، وأخر (شهيذا)، والله أعلم^(٢).

٨- مسألة:

قوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا

مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (العنكبوت - ٢٥)^(٣).

إنك إذا أمسكت بيدك قبساً من نار أو عود ثقاب (عود الكبريت) تجد أن الشعلة دائماً تتجه لأعلى حتى لو عكست وضع عود الثقاب وجعلته لأسفل فإن الشعلة تتجه لأعلى، كذلك النار إذا كانت

(١) كشف المعاني في المتشابه من المثاني لبدر الدين بن جماعة (ص ٢٩٢).

(٢) أسرار التكرار ليجي الزواوي (ص ٢٠٥).

(٣) خواطر الشعراوي بتصرف (ج ١٨/ص ١١٢٣٨).

تحت الأقدام فإنها تخمد من وطء الأقدام لها، أى أن النار لا تأتى من هذين المصدرين الفوقية والتحتية،
أما نار العذاب - أجازنا الله منها - فتشمل هاتين الجهتين.

سورة الروم

١- قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهراً مِّنْ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الروم - ﴿٧﴾).

ما الحكمة البلاغية من اقتران هذا النفي والإثبات للعلم...؟
إن العلم الذي لا يُخضع حركة الإنسان له فكأنه لم يعلم شيئاً.. لأن هذا العلم سيكون حجة على صاحبه يوم القيامة وليته لم يعلمه.. وقرأ قول الشاعر:

رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا سَمَاحَ يَدٍ فَكَأَنَّهُمْ رُزِقُوا وَمَا رُزِقُوا
خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا لِمَكْرَمَةٍ فَكَأَنَّهُمْ خُلِقُوا وَمَا خُلِقُوا^(١)

فكأن العلم لم يُثبت لك لأنك لم تنتفع به والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهراً مِّنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الروم - ﴿٧﴾).

وهكذا نفى الله عن الناس العلم الحقيقي.. وأثبت لهم العلم الدنيوى الظاهر^(٢)

قلت والله أعلم:

إذا تتبعنا ذكر العلم في سورة الروم تجد أنه ذكر في أول السورة فنفى سبحانه العلم عن الذين
اقتصروا علمهم على ظاهر الدنيا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا تُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

(١) من خواطر الشعراوي (ج ١ / ص ٢٩٥).

(٢) من كلام الشيخ محمد حسين يعقوب.

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ (الروم -
٧)

وفي آخر السورة قال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ (الروم - ٥٦).

وبالتأمل في الآية قبلها: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ...﴾ (الروم - ٥٦).

قرن العلم بالإيمان ولم يتكرر هذا السياق في القرآن، وذلك لتعلم أن العلم النافع مقرون بالإيمان،
والله أعلم^(١).

٢ - لطيفة في الوقف والابتداء:

قوله: ﴿...فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
(الروم - ٤٧).

كان أبو بكر رضي الله عنه يقف على كلمة (حَقًّا) ثم يستأنف فيقول: ﴿عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

٣ - نكرة مكررة ثلاث مرات في آية واحدة (تكرار ولكنه ليس بتكرار):

قال تعالى في سورة الروم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ

(١) التفسير القرآني للقرآن (ج ١١/ص ٥٤٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (ج ١٤/ص ٤٣).

ضَعْفٌ قُوَّةٌ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿الرُّوم - ٥١﴾.

يجب التذكير بالقاعدة البيانية: إن النكرة إذا تكررت فإنها في كل مرة تفيد معنى جديداً.

المراد بالضعف الأول: النطفة (ضعيفة فهي ماء مهين).

والضعف الثاني: الطفولة (لأنه بحاجة إلى رعاية أمه في مرحلة الرضاع، وعناية خاصة حتى يجتاز مرحلة المراهقة ويصل البلوغ).

والضعف الثالث: الشيخوخة (لأنه يعود في مرحلة الشيخوخة ضعيفاً عاجزاً.. ضعيف الفكر.. ضعيف الحركة والسعي والنشاط).

واللطيف في الآية أن (قوة) وردت نكرة وكررت مرتين.
 إذاً.. القوة غير القوة.

القوة الأولى: قوة فترة الصَّبَا (الصبي قوي مندفع كثير الحركة).

القوة الثانية: قوة الشباب (قوة الجسم والمشاعر والأحاسيس والهمة والعزيمة والانطلاق في الفكر والأحلام والطموح).

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٌ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ القوة

الأولى تقود إلى القوة الثانية.

هذه الآية الكريمة تلخص حياة الإنسان على الأرض وأنها تقوم على خمس مراحل:

١. الضعف : وهو جنين في بطن أمه.

٢. الضعف : وهو رضيع في حضن أمه.

٣. القوة : وهو صبي مندفع.

٤. القوة : وهو شاب نشيط فاعل.

٥. الضعف : وهو شيخ عجوز هرم.

هنا روعة الإعجاز البياني القرآني.. التعبير الحق البليغ.. عن أدق التفاصيل.. بأقل عدد من

الكلمات.. في نظم محكم بديع.. دون أن يخل بالسياق.
اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا^(١).

لقمان / 42- الشورى

من المعلوم أن الصبر على الأذى له أجر عظيم، والصبر يكون أهون عندما لا تعرف من وقع منه الظلم أو الأذى، ولكن يكون أشد وأصعب إذا كنت تعرف الذي جاء منه الظلم والأذى.

لذلك تجد في سورة لقمان: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(لقمان-٤٢)، وفي الشورى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(الشورى-٤٣). بزيادة **حرف اللام**؛ لأنه سبحانه قال قبلها: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ

هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ (الشورى-٤٤). وقال: ﴿وَلَمَن أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا

عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى - ٤٥). فبمعرفة جهة البغي يتطلب صبراً أكبر، فزاد اللام، والله أعلم^(٢).

قلت: وهناك لطيفة تذكر في هذا الموضع أن الزيادة جاءت في سورة الشورى؛ حيث ورد فيها لفظ

الظلم بمشتقاته ثمان مرات، فقال سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ

الْأُمُورِ﴾ (الشورى - ٤٢).

فهذه علامة صعبة المستخرج فاعلمها.

(١) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم لعلي بن نايف الشحود (ج ١/ص ٣٣٢).

(٢) خواطر الشعراوي (ج ٩/ص ٤٣٥١).

القصص / 42- الشورى

قوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَزَيَّنَّهَا** وَمَا عِنْدَ اللَّهِ

خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (القصص - ﴿٦٠﴾)، بزيادة كلمة (**وزينتها**).

وقوله: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ^ط وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الشورى - ﴿٦٠﴾)، بدون (**وزينتها**).

في سورة القصص ذكر قصة خروج قارون في **زينته** فناسبها أن يأتي قبلها كلمة (**زِينَتُهَا**).

السجدة

الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ **الَّذِي** كُنْتُمْ

بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (السجدة - ﴿٢٠﴾).

الاسم الموصول عائد على العذاب في هذا الموضع فقط في كتاب الله، أما في غيره (عذاب النار **التي**...) الضمير يعود على النار، أجازنا الله منها.

قلت والله أعلم:

إذا تتبعنا سياق الآيات نجد أن مادة الفعل (**ذاق**) ورد في السورة بمشتقاته **٤ مرات** (فذوقوا بما نسيتم/ وذوقوا عذاب الخلد/ ذوقوا عذاب النار/ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى..)، فناسبه **والله أعلم** أن يعود الاسم الموصول على العذاب.

الأحزاب

١- ورد في القرآن النداء: ﴿يَتَّخِئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ٩٠ مرة دائماً يكون أول الآية ولم يأت

في وسط الآية إلا مرة واحدة في القرآن في موضع الأحزاب ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ

عَلَى النَّبِيِّ ﷺ يَتَّخِئُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب

- ﴿٤٦﴾).

أرجع الى تفصيل ذلك في المبحث الأول بند (٢٦).

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ ﷻ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (الأحزاب - ﴿٤٦﴾).

وقوله في موضع آخر: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﷻ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد - ﴿٩﴾):

الإجابة - والله أعلم - على سبب اختلاف السياق:

قوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ الأحزاب - ٤٣

أي من الضلالة إلى الهدى، ومعنى هذا التثبيت على الهداية.

أما قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﷻ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحديد - ﴿٩﴾):

يريد القرآن، وقيل: المعجزات، أي ألزمتكم الإيمان بمحمد (ﷺ)، لما معه من المعجزات، والقرآن أكبرها وأعظمها. (لِيُخْرِجَكُم) أي بالقرآن. وقيل: بالرسول، وقيل: بالدعوة (مَنْ الظُّلُمَتِ) وهو الشرك والكفر (إِلَى النُّورِ) وهو الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

قلت والله أعلم:

الأولى في الأحزاب موجهة إلى من آمن بالفعل؛ لأنهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية، وقد جاءت في سياق آيات تتضمن الحديث عن المؤمنين؛ ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيساً لهم فناسبها أن تذيّل بقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ وهما صفتان لله سبحانه تتناسب مع صلاة الله علي المؤمنين، ومعلوم أن صلاة الله على المؤمنين رحمة لهم. أما آية الحديد فهي - والله أعلم - خطاب عام، لذلك ذيلت بصفتين لله زيادة في الترغيب في الاستجابة لله سبحانه ونوعاً من زيادة الود والأنس وجاء بها أيضاً أداة التوكيد (إن) فقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد - ) .

الصفات

١ - سميت سورة الذبيح وهي الوحيدة التي وصف فيها رب العزة سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه السلام في قصه الذبح فقال في حقه: ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (الصفات - ) .

إجابته:

والخلة هي الحبة التي تخللت روح الحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب كما قيل، وهذا هو السر الذي لأجله والله أعلم أمر الخليل بذبح ولده وثمره فؤاده وفلذة كبده؛ لأنه لما سأل الولد فأعطيه تعلقت به شعبة من قلبه، والخلة منصب لا يقبل الشركة والقسمة، فغار الخليل على

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج ١٧/ص ٢٣٩).

خليله أن يكون في قلبه موضع لغيره، فأمره بذبح الولد ليخرج المزاحم من قلبه، فلما وطن نفسه على ذلك وعزم عليه عزمًا جازمًا حصل مقصود الأمر، فلم يبق في إزهاق نفس الولد مصلحة فحال بينه وبينه وفداه بالذبح العظيم، وقيل له: (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي عملت عمل المحب، (إنا كنا كذلك نجزي المحسنين) نجزي من بادر إلى طاعتنا فنقر عينه كما أقررنا عينك بامتنال أوامرنا وإبقاء الولد وسلامته إن هذا هو البلاء المبين وهو اختبار المحبوب لحبه وامتحانه إياه^(١).
أي سليم القلب لله، وكما قيل (لن تصح لك عبودية حتي لا يبق ليغيره فيك بقية).

سورة الصافات / الذاريات

قوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (الصافات - ١١).

وقوله: ﴿وَدَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (الذاريات - ٢٨):

وانتبه إلى هذه اللطيفة التي سمعتها في إحدى حلق القرآن، ولا أدري إن كانت نقلاً عن أهل العلم أم اجتهداً من صاحب المقولة:

الأولى يقصد بها إسماعيل الذبيح والذي جاء من نسله شعب مصر ووصف بأنه حليم وشعب مصر يتصف بأنه صبور حمال للبلايا والشدائد.

الثانية يقصد بها إسحاق ومن ورائه يعقوب ومن ذريته بنو إسرائيل ووصف بأنه عليم وبني إسرائيل يتصفون بنوع من العلم قد يصل إلى الدهاء والمكر.

(١) مدارج السالكين لابن القيم، منزلة المحبة (ج ٣/ص ٣٠).

سورة ص

ذكر الله العزة بمشتقاتها خمس مرات في سورة (ص)، وجاء في خطاب إبليس:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (ص - ﴿٤٦﴾)

ولم تتكرر بهذا السياق في سائر القرآن، فهذه علامة فلا تنسها.

سورة الزمر/غافر

قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...﴾ (الزمر

- ﴿٧٦﴾).

وقوله في غافر: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى

الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَصْبِرْ...﴾ (غافر - ﴿٧٧﴾):

قلت والله أعلم:

حتى لا يتلبس الأمر على القارئ بين الموضعين:

لاحظ أن سياق الفعل في الزمر جاء - فعلاً مبنياً لمن لم يُسم فاعله (مبني للمجهول) - (قِيلَ /

وَسِيقَ). أما في غافر فقد جاء الفعل - على صيغة الأمر - (ادْخُلُوا / فَأَصْبِرْ).

فهذه إشارة للتذكير فقط وليست بتأويل فاعلمها.

سورة الزخرف /الشرح

لاحظ أن بعض آيات القرآن توقف الذهن عندها كي تظل الأذهان دائماً مشغولة بكلمات الله، ولو جاء القرآن بكلمات يسهل على الفهم العادي إدراك معانيها لما تجددت معاني الكتاب العظيم في كل زمان، وكأن الحق قد قصد ذلك حتى يُثبِت الناس في كل العصور من إيمانهم، وها هم أولاء بعض من الذين يحاولون الخوض في القرآن تساءلوا عن معنى قوله الحق: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي

السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف -

لقد تساءلوا عن معنى التكرار أنه: ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ وظن بعض السطحيين أنه قصد القول بأن هناك إلهاً في السماوات وإلهاً آخر في الأرض، ولم يفتنوا إلى أن المعنى المقصود هو: أنه إله يعبد في السماء ويعبد في الأرض، وهو صاحب الحكمة المطلقة في كل أفعاله وهو المحيط بكل كونه. وأن الحق إنما يريد بهذا القول أن يشغل الأذهان به.

ونقول أيضاً لهؤلاء الذين لم يفهموا المعنى: هناك قاعدة في اللغة تحدد النكرة وتحدد المعرفة؛ فعندما نقول: « جاءني الرجل » فهذا الرجل يكون معروفاً للقائل والسامع، ولكن عندما نقول: « جاءني رجل » فهذا غير معروف للسامع وقد يكون معروفاً للقائل. وإذا قلنا: « جاءني رجل وأكرمت رجلاً »، فمعنى ذلك أن القائل يتحدث عن رجلين: أحدهما جاء، والآخر كان موضع التكريم، أما إن قال القائل: « جاءني رجل فأكرمت الرجل » فالحديث هنا عن رجل واحد.

إذن، فالنكرة إن أعيدت نكرة تكون مختلفة، والنكرة إن أعيدت معرفة تكون هي بعينها. وعندما

قال الحق سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ

الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف - ﴿﴾).

تصور البعض أن « إلهاً » نكرة، عندما أعيدت صارت غيرها، ولو كان الأمر كذلك لفسدت

الدنيا، ولكن القاعدة الغالبة من العلماء عرفوا روح النص، وقال أهل العلم بالتوحيد: لا بد لنا أن نلتفت إلى أنه سبحانه قال: { وَهُوَ الَّذِي }، وكلمة « الذي » اسم موصول واحد يدلنا على أن الحق صلته بالسماء والأرض واحدة، ولهذا نقول لمن وقفوا عند هذه الآية: لا تبحثوا عن النكرة المكررة. معزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول معرفة ^(١). هـ.

قلت والله أعلم:-

قياساً على القاعدة نفسها في سورة الشرح: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ

يُسْرًا﴾ (الشرح - ﴿٦﴾).

هذا التكرار ليس بتكرار؛ لأن تنكير العسر وتعريف اليسر جعله عسراً واحداً ويسراً ولذلك قال (ﷺ): (لن يغلب عسر يسرين) ^(٢).

لذلك قال القائل:

لو أمسكت بالعسر وجعلت له كل قوة لبقائه لأفلت منك ورحل.

(١) من خواطر الشعراوي (ج ٢١/ص ١٣٩٦٠).

(٢) الموطأ (ج ١/ص ٣٥٢).

سورة محمد

قلت والله أعلم:

١- تأمل في سياق الآيات الثلاث الآتية من سورة محمد:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ (محمد - ٦)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي

بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ (محمد - ٦١)

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبَطَ

أَعْمَلَهُمْ﴾ (محمد - ٦٨):

وانتبه إلى تكرار قوله سبحانه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ...﴾ عدة مرات ولاحظ أن الضمير فيها عائد

على الكفار، وتأمل الترتيب الذي جاءت به الآيات والذي يوضح تدرج حال الكفار من الفعل

القلبي (كَرِهُوا) ثم الفعل القولي (قَالُوا)، ثم في الموضع الثالث اجتماع كل من فعل الجوارح

والقلب: ﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾.

وعادة ما تكون هذه هي المراحل التي تمر بالإنسان حال عزمه القيام بعمل، فتبدأ بخاطرة في القلب ثم

القول ثم الفعل.

٢- قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ

وَأَنهَرُوا مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنهَرُوا مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنهَرُوا مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى.... ﴿١٥﴾ (محمد -)

تأمل في وصف كل نهر من هذه الأنهار الأربعة من أنهار الجنة، ستجد أن قرين كل منها صفة تميزها عن مسماها في الدنيا قال الله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا....﴾ (البقرة -) .
 ذلك لتعلم أن الماء واللبن والخمر والعسل الذي في الدنيا ليس كالذي في الجنة، بل كل ما في الجنة خلاف ما تعرفه في الدنيا ولا يتفقان إلا في المسمى^(١)

سورة ق

قال سبحانه: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ ق - ()

وقال بعدها يبضع آيات: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ

بَعِيدٍ﴾ بدون الواو، ذكر أبو بكر الجزائري في أيسر التفاسير أن هذه الواو هي واو الحال،

وأن هذا قرينه من الملائكة؛ لذلك - والله أعلم - جاءت الواو لاتصال الكلام؛ حيث ذكر قبلها

القرين من الملائكة، وهو قوله: ﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (ق -) .

وذكر أيضا أن المقصود بالموضع الثاني قرينه من الشياطين - وهذا ابتداء كلام جديد غير متعلق بما

(١) ذكرها الشيخ صلاح صالح - حلقة القرآن بمسجد الخلفاء الراشدين - السادس من أكتوبر).

قبله، فلم يأت بالواو - والله أعلم بمراده^(١).

سورة الحديد

١- ذكر سبحانه ملكية الظرف والمظروف:

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الحديد - ١)

تحدث عن المظروف.

﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (الحديد - ٢) تحدث عن الظرف.

وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك في نهاية النور وبداية الفرقان - ارجع إليها مفصلة في سورة النور.

٢- لطيفة في سورة الحديد:

قوله: ﴿..جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد - ١٢).

وقوله: ﴿..جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التغابن - ١٦).

حتى لا تتلبس على القارئ تذكر أن هذا هو الموضع الوحيد في القرآن - وذلك في سورة الحديد -

الذي جاء بهذا السياق ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الحديد - ١٦).

فاذكر ذلك بقوله: ﴿..تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) أيسر التفاسير للجزائري (ج ٢/ص ١٥١٥).

سورة المجادلة

١- ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المجادلة - ١٧).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن - ١٦):

ما وجه التقديم والتأخير في قوله: ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ و﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾؟

قلت والله أعلم:

في المجادلة إذا تبعَت الضمائر التي تشير إلى من يقصدهم الله في هذه الآيات (١٥-١٧) والموضحة بلون مختلف:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧).

ستجد أن الكلام به تركيز علي هؤلاء الذين غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وهناك لفت نظر إليهم؛ حيث تكرر **الضمير هم ١٢ مرة**، فناسبه أن يكون تذييل الآية بتقديم الضمير هم وتقديم قوله: (فيها) وتأخير قوله: (خالدون).

أما في التغابن فالآية (٩) قال فيها: ﴿... وَيُدْخِلُهُ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التغابن - ٩) عبر بالحال (خَالِدِينَ)

فناسب ذلك أن يقول أيضا بلسان الحال

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا

عَلَىٰ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (التغابن - ١٠) والله أعلم بمراوده سبحانه.

٢- كثيراً ما يقترن **العلم بالعمل** لذلك في قوله: ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ

أُوتُوا **الْعِلْمَ** دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا **تَعْمَلُونَ** خَبِيرٌ﴾ (المجادلة - ١١).

فأخّر قوله: (**خَبِيرٌ**) وقدم (**تَعْمَلُونَ**)، لتقترن بما قبلها وهو العلم.

أما في الآية الأخرى: ﴿... وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المجادلة)

— ﴿١٣﴾ —

فقدم خبر لاقتراحها بما سبق من أعمال الله خبير بما: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾، والله أعلم بمراوده سبحانه.

سورة الحشر

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

جاء في الموضع الأول: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾، وفي الموضع الثاني: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ﴾ بدون حرف (الواو)، قال القرطبي^(١): إن الإمام مالك قال: الأولى في بني النضير والثانية في بني قريظة والأولى كانت بلا قتال والثانية كانت بقتال، لذلك فإن الثانية منقطعة عما قبلها، فهي ابتداء كلام فلم تأت معها (الواو).

قلت والله أعلم:

ولذلك جاء ضمير - منهم - في الأولى (وما أفاء الله على رسوله منهم) والله أعلم.
مواضع على سبيل الحصر: الآية ١٩ من سورة المجادلة هي الموضع الوحيد في القرآن الذي ذكر فيه عدو الله إبليس في آية واحدة ثلاث مرات: ﴿أَسْتَحْذَرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَهُمْ ذِكْرَ

(١) الجامع لأحكام القرآن (ج ١٨/ص ١٤).

اللَّهُ أَوْلَيْكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦﴾ (المجادلة)

- ﴿١٦﴾

سورة الجمعة

قوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ

ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة- ﴿١٦﴾):

﴿..وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ ذكر سبحانه البيع، ومعلوم أن التجارة بيع وشراء فذكر الشيء الذي يكون

التاجر حريصاً عليه، فعادة ما يكون التاجر حريصاً علي أن يقوم ببيع السلعة لأن فيه المكسب،

بخلاف الشراء لأنه يقوم بدفع المال فيه^(١).

(١) من خواطر الشعراوي (ج /ص).

سورة المنافقون

الموضع الوحيد في القرآن الذي جاء فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(المنافقون - ﴿٦﴾): وفي غيره (والله لا يهدي القوم الفاسقين).

قلت والله أعلم:

لاحظ أن هذا السياق وأداة التوكيد جاء مناسباً لاسم السورة ووصف حال المنافقين وبيان وتأكيدهم فسوقهم، وهذا على سبيل الحصر في القرآن.

سورة التغلبن

* - ثلاث مواضع في القرآن أمر فيها النبي ﷺ أن يقسم بالله (سورة يونس / سورة سبأ / سورة التغلبن).

ارجع إلى تفصيل ذلك في المبحث الأول بند (٣٢).

سورة التحريم

* - قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

(التحريم - ﴿٧﴾): الوحيدة في القرآن بهذا السياق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾

سورة المعارج

قول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ (المعارج - ﴿٢٢﴾).

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ تَحَافِظُونَ﴾ (المعارج - ﴿٢٢﴾).

إن قيل قال: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ ثم: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ تَحَافِظُونَ﴾ قلنا: معنى دوامهم عليها أن لا يتركوها في شيء من الأوقات، ومحافظتهم عليها ترجع إلى الاهتمام بحالها حتى يأتوا بها على أكمل الوجوه، وهذا الاهتمام إنما يحصل تارة بأمور سابقة على الصلاة وتارة بأمور لاحقة بها وتارة بأمور متراحية عنها، أما الأمور السابقة فهي أن يكون قبل دخول وقتها متعلقا القلب بها ومتعلق بالوضوء وستر العورة وطلب القبلة ووجدان الثوب والمكان الطاهرين، والإتيان بالصلاة في الجماعة وفي المساجد؛ وأن يجتهد قبل الدخول في الصلاة في تفرغ القلب عن الوسوس والالتفات إلى ما سوى الله تعالى، وأن يبالي في الاحتراز عن الرياء والسمعة، وأما الأمور المقارنة لها فهي أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا، وأن يكون حاضر القلب عند القراءة فاهما للأذكار مطالعا على حكم الصلاة، وأما الأمور المتراحية فهي أن لا يشتغل بعد إقامة الصلاة باللغو واللهو واللعب، وأن يحترز كل الاحتراز عن الإتيان بعدها بشيء من المعاصي^(١).

سورة نوح

انظر إلى هذه المواضع الثلاثة في سورة نوح؛ وانتبه إلى الحكمة من هذا الترتيب...

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ (نوح - ١٠).

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ (نوح - ١١).

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح - ١٢).

قلت والله أعلم: إن هذا الترتيب هو التسلسل الطبيعي: دعوة نوح لقومه ثم استقبالهم للدعوة إما بالقبول أو الإعراض، ولكن الالفة البلاغية الرائعة هي في الموضع الثالث الذي دعا فيه نوح على قومه **نوح**: ﴿وَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح - ١٢).

(١) مفاتيح الغيب للرازي - بتصرف (ج ٣٠/ص ١١٥).

﴿٢١﴾. ووجه اقترانها بالواو وعدم اقتران الآية التي قبلها بالواو وذلك في قوله: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ

إِيَّاهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾؟

الإجابة والله أعلم وهذه خاطرة مستوحاة مما جاء في التفسير: إن هذه الآية التي اقترنت بالواو: ﴿وَقَالَ نُوحٌ

رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ (نوح - ﴿٢١﴾).

جاءت مباشرة بعد قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا

هُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (نوح - ﴿٢٥﴾).

وتذكر قول الله في سورة هود مخاطبًا نوح:

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا

تَبَتُّبٍ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا

تَخْطُبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (هود - ﴿٢٧﴾).

أى أن- نوح والله أعلم- لم يقم بالدعاء على قومه إلا بعد إعلام الله له بأنهم مُغْرَقُونَ وهلكى لذلك
جاءت مقترنة بالواو لارتباطها بما قبلها.

سورة الجن

ما الحكمة من قول الله سبحانه: ﴿...فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾
(الجن - ١)، وذلك عقب قوله: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمِّنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ
أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن - ٢). وذلك على لسان الجن.

قيل والله أعلم: أى: لا ندري أَشَرُّ أُرِيدَ بأهل الأرض بسبب هذه الحراسة للسماء، أم أراد بهم ربهم
رشداً، أى: خيراً. قال ابن زيد: قال إبليس: لا ندري أراد الله بهذا المنع أن يتزل على أهل الأرض
عذاباً، أو يرسل إليهم رسولاً^(١).
وقيل في بعض التفاسير: أنه من أدب الجن أنهم نسبوا الشر لمن لم يسم فاعله (أى مبنى للمجهول)
ونسبوا الخير لله سبحانه.

سورة الإنسان

مسألة بشأن الأسرى: انظر البند ٤٠ في المبحث الأول.

سورة (الانشقاق/التين)

١- جاء في الانشقاق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ﴾ (الانشقاق - ٢) بدون الفاء، وجاء في التين: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (التين - ٢) مقترنة بالفاء.
الإجابة والله أعلم:

(١) فتح القدير للشوكاني (ج ٧/ص ٣٢٣).

في الانشقاق استثناء منقطع لأنه غير متصل بما قبله ولم يُشر إلى المقصودين بالحديث في الآيات قبله، أما في التين فالتقدير أن من أصابه العجز والكبر تُكتب أعمالهم فهو استثناء متصل، لذلك قال **عكرمة**: (من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر) ^(١).

١- قال **السعدي**: إن محل الرسالات الثلاثة ذُكر في سورة التين: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾:

الشام، عيسى عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: مصر، موسى عليه السلام، - ﴿

وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة، محمد (ﷺ) ^(٢).

سورة الأعلى

قوله: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ (الأعلى - ﴿٧﴾). معلوم أن الإعجاز في علم الله بالسر وعلم ما يخفى، ولكن ما وجه الإعجاز في علم **الجهر**: تكلم **فضيلة الإمام الشعراوي** رحمه الله في هذا فذكر مثالا بمظاهرة في حشد من الناس بالآلاف وكل واحد يتكلم بكلمة، فهل يستطيع أحد أن يُرجع كل صوت إلى صاحبه وينسب كل كلمة إلى قائلها، لا يستطيع ذلك إلا الملك سبحانه، وهذا هو وجه الإعجاز ^(٣).

سورة الشمس

لقد أقسم الله أحد عشر قسماً متتالياً ما أتت إلا في موضع واحد في كتابه الكريم أن فلاح النفوس بتزكيتها، قال تعالى:

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ

(١) ابن جماعة (ج ١/ص ٣٧٥).

(٢) تفسير السعدي (ج ١/ص ٩٢).

(٣) تفسير الشعراوي (ج ١٨/ص ١٩٩٦).

إِذَا يَغْشَاهَا ﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ﴿٢﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا ﴿٣﴾ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّيَهَا ﴿٤﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٥﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٦﴾ (الشمس)
- ﴿٧﴾. وهي ركن ركين في دعوة نبينا (ﷺ)، بل هي ربع الرسالة المحمدية، قال تعالى: ﴿كَمَا
أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة - ﴿١٥١﴾). انظر البند
الأول في سورة البقرة.

سورة العلق

لطيفة مرتبطة بالسورة:

* إن ركعات الصلاة تبدأ كل ركعة بالقراءة ثم تنتهي بالسجود، وما أشبه هذا بأول ما نزل من
القرآن في سورة العلق فبدأت بالقراءة، قال سبحانه: (أَقْرَأْ) (العلق - ﴿١﴾)، وانتهت السورة
بالسجدة (١).

سورة التكاثر

دائما ما نستعمل عبارة (شيع إلى مثواه الأخير) وهذا خطأ:
ارجع إلى المبحث الأول (بند ٣٦).

سورة الهمزة/الفيل/قريش

سر هذا الترتيب للسور: ارجع إلى المبحث الأول (بند ٣٧).

(١) سليمان الخراز صاحب حلقات: (كيف تتلذذ بالصلاة).

سورة الفلق / الناس

هناك قاعدة بلاغية تقول: (إن البناء على المستعاذ به أو العطف على المستعاذ به عدة مرات ثم ذكر المستعاذ منه مرة واحدة، تدل على خطورة المستعاذ منه).

لقد ذكر اسم المستعاذ به وهو لفظ الجلالة ثلاث مرات في سورة الناس، وذلك بصيغ مختلفة (رب الناس/ملك الناس/إله الناس) والمستعاذ منه ذكر مرة (الوسواس) وفي الفلق ذكر لفظ الجلالة مرة والمستعاذ منه أربعة أشياء، ومعلوم أن مراد الشيطان بوسوسته لابن آدم لا للمعصية ولكن سعيه

معك للكفر ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ..﴾ (الحشر - ١٦).

وهذا خطر وضرر أكبر من أي إصابة في نفس أو مال أو حسد أو سحر.

تم بفضل الله ومنته

الثامن من شهر شعبان ١٤٣٤ هجرية

الموافق: شهر يوليو ٢٠١٣

الحفاظ علي العمل أهم من العمل

قال **الحسن بن أبي الحسن**: لقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدرّون على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً^(١).

فإن الإقدام على أى عمل سهل ولكن الصعوبة في الحفاظ على هذا العمل من استيلاء النفس وطغيانها وحظ الناس وإفساد الشيطان للعمل.

لذلك كان مطرف بن عبد الله يقول: إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك، ولكني أعجب مما نجا كيف نجا^(٢).

وقال بعضهم: (كل ما ظهر من عملي لا أعده، فالقلوب أضعف من أن تخلص والناس ينظرون). ويقول **ابن القيم**: (وقد تستولى النفس على العمل الصالح.. فتصيره جنداً لها.. فتصول به وتطغى.. فترى العبد: أطوع ما يكون.. أزهد ما يكون.. وهو عن الله أبعد ما يكون).

فأسأل الله العظيم إذا إذن سبحانه لهذا العمل أن يرى النور بفضلِهِ ومَنته أن يجعله سبحانه صالحاً ولوجهه خالصاً، ويظهره من نصيب الشيطان والنفس ونصيب الناس، اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم.

(١) أحكام القرآن للقرطبي (ج٧/ص ٢٢٤).

(٢) إحياء علوم الدين، ومعه تخريج الحافظ العراقي لأبي حامد الغزالي (ج٦/ص ١٠٩).

كلمة هامة لكل طالب علم

قدر الله أن تكون السطور الأخيرة في هذا العمل في مساء أحد الأيام الدامية التي تشهدها مصر، والكل منشغل بها ولم أجد من أعرض عليه هذا العمل للمراجعة الفنية المتخصصة، وحق لهم ذلك فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم.

ولكن كان لى سنة في الإنكباب على هذا العمل في ظل هذه الظروف الدامية، فأين هذه الظروف من أهوال يوم القيامة: (يَوْمَ تَرَوْنها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج - ٢٢).

وقد قال الرسول (ﷺ) في الحديث الذي رواه أنس بن مالك (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها) رواه البخارى.

وقد قيل أن المقصود بها الدعوة والله أعلم، وأيضاً قول النَّبِيِّ (ﷺ): (عبادة في المهرج كهجرة إلى). الذي على المسلم إذا وجد مثل هذه العلامة من علامات قرب الساعة أن يلزم العبادة وليترك القيل والقال؛ لأنه قد يكون له يد في مثل هذه الموبقة العظيمة التي هي القتل ويترك القيل والقال ويقبل على العبادات الخاصة والنفع المتعدي بقدر المستطاع^(١).

و روي أيضاً من حديث معقل بن يسار مرفوعاً: (العبادة في المهرج كهجرة إلى)، أخرجه مسلم، وذكر صاحب المحكم للهرج معاني أخرى ومجموعها تسعة: شدة القتل، وكثرة القتل، والاختلاط، والفتنة في آخر الزمان، وكثرة النكاح، وكثرة الكذب، وكثرة النوم، وما يرى في النوم: غير منضبط، وعدم الإلتقان للشيء^(٢).

(١) شرح كتاب الفتن للبخاري: الدكتور عبد الكريم الحضير (ج ١/ص ٤٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (ج ١٣/ص ١٩).

خاتمة

جزى الله خيراً كل من ساهم في هذا العمل ولا يفوتني ذكر صديقنا وأخونا الشيخ /أحمد عريف من محافظة كفر الشيخ الذي قام بالكثير من أعمال الضبط اللغوي والبلاغي وأفادني فائدة جامعة في الكثير من المسائل في هذا البحث وآخرون آثروا عدم ذكرهم الله يعلمهم وجزاهم الله جميعاً خير الجزاء.

والله ولي التوفيق.

المراجع

أولاً كتب التفاسير:

- ١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الكتب المصرية الطبعة الثانية: ١٣٨٤هـ.
- ٢- أيسر التفاسير لأي بكر الجزائري - مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة: ١٤٣٢ هـ.
- ٣- التحرير والتنوير لابن عاشور: الدار التونسية للنشر - تونس: ١٤٠٦ هـ.
- ٤- لطائف الإشارات للقشيري: الهيئة المصرية العامة للكتاب
- ٥- مدارك التزيل وحقائق التأويل لأبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)
- ٦- خواطر الشعراوي
- ٧- تفسير جزء عم للشعراوي - إصدار دار الراية للنشر والتوزيع: ١٤٢٩ هـ.
- ٨- روح البيان لإسماعيل حقي الإستانبولي - دار إحياء التراث العربي
- ٩- تفسير الإمام فخر الرازي المسمى (مفاتيح الغيب): دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ
- ١٠- التفسير القرآني للقرآن د/عبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - القاهرة
- ١١- تفسير ابن كثير - دار القلم: طبعة أولى - بيروت -
- ١٢- جامع البيان للطبري - تحقيق: أحمد محمد شاكر: الناشر: مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠ هـ.
- ١٣- إيجاز البيان عن معاني القرآن - بيان الحق محمود بن أبي الحسن النيسابوري الغزنوي - دار الغرب الإسلامي: بيروت ١٤١٥ هـ.
- ١٤- التفسير الوسيط للزحيلي - دوهبة بن مصطفى الزحيلي - دار الفكر - دمشق - ١٤٢٢هـ.
- ١٥- تفسير السلمى وهو حقائق التفسير - أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمى - دار الكتب العلمية: بيروت - سنة النشر: ١٤٢١هـ.
- ١٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: مؤسسة الرسالة: ١٤٢٠ هـ.

١٧- تفسير التستري لأبو محمد سهل بن عبد الله التستري: دار الكتب العلمية — بيروت ١٤٢٣ هـ.

١٧- التفسير الحديث: محمد عزت دروزة: دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٣٨٣ هـ.

ثانياً كتب السنة:-

- ١- صحيح البخارى
- ٢- صحيح مسلم
- ٣- شرح كتاب الفتن من صحيح البخارى: الشيخ الدكتور عبد الكريم الخطير
- ٤- فتح الباري لشرح صحيح البخارى: دار المعرفة بيروت ١٣٧٩ هـ.
- ٥- الأدب المفرد بأحكام الألبانى - دار البشائر الإسلامية - بيروت- الطبعة الثالثة ١٤٠٩ هـ.
- ٦- سنن ابن ماجه
- ٧- السنن الكبرى للنسائى
- ٨- سنن ابن ماجه
- ٩- موطأ الإمام مالك: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان: الطبعة: الاولى ١٤٢٥ هـ.
- ١٠- مُصنّف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ — ٢٣٥ هـ)

ثالثاً:- كُتُب المتشابهات القرآنية

- ١- ملاك التأويل لابن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي: دار الكتب العلمية — بيروت
- ٢- الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية- نعمة الله بن محمود نعمة الله النخجواني -دار ركابي للنشر: مصر ١٤٢٤ هـ.
- ٣- جامع لطائف التفسير لعبد الرحمن بن محمد القماش: إمام وخطيب بدولة الإمارات العربية
- ٤- لمسات بيانية للدكتور فاضل صالح السامرائى-أستاذ النحو في جامعة الشارقة
- ٥- كشف المعاني في المتشابه من المثاني لشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة - (المتوفى ٧٣٣ هـ):

دار الوفاء — المنصورة: الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م

٦- أسرار التكرار في القرآن - محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى - دار الاعتصام - القاهرة: الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ.: تحقيق: عبد القادر احمد عطا

٧- البرهان في توجيه متشابه القرآن - محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى: مركز الكتاب للنشر ١٤١٩هـ.

٨- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم لعلي بن نايف الشحود: باحث في القرآن والسنة

رابعاً كتب ومراجع عامة:

١- الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري.

٢- كتاب كيف أتوب للشيخ محمد حسين يعقوب - دار التقوى للنشر والتوزيع

٣- فقه الأسماء الحسنی للدكتور عبد الرزاق البدر - فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية.

٤- مدارج السالكين لابن القيم - طبعة دار الحديث - القاهرة.

٥- مجموعة خطب العلم للدكتور راغب السرجاني.

٦- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - دار الحديث - القاهرة

٧ - كتاب حلية طالب القرآن أبو عبد الله بن مختار بن أبو شادى: مدير معهد الرحمة الأزهرى

٨- معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة: دار إحياء التراث العربى بيروت

٩- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب - محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني

الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) - مكتبة ابن تيمية - القاهرة

١٠- الفوائد: ابن القيم الجوزية: دار الكتب العلمية - بيروت: الطبعة الثانية: ١٣٩٣هـ.

١١- طريق المهجرتين - ابن قيم الجوزية: دار ابن القيم - الدمام: لطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

١٢- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: حمد بن الحسين

البهقي: دار الآفاق الجديدة - بيروت: الطبعة الأولى - ١٤٠١

١٣- القاموس القويم

- ١٤ - المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبهسي
١٥ - هدية القارئ إلى تجويد كلام البارئ لعبد الفتاح المرصفي
١٦ - إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي لأبي حامد الغزالي

فهرس المحتويات

إياس بن معاوية	٥
(مقدمة تفسير القرطبي)	٥
مقدمة	٦
أسباب تصنيف هذا البحث	٩
الآيات المتشابهات من منظور اللغة والبلاغة	١٠
أيضاً من الأسباب المهمة لهذا البحث في المتشابهات	١٢
فائدة مهمة في قواعد الفتح على الإمام	١٧
مسألة بشأن أسئلة المسابقات القرآنية	١٩
منهجى في إعداد البحث	٢١
المبحث الثانى	٦٠
اللطائف البلاغية للمتشابهات القرآنية	٦٠
سورة البقرة	٦٢
سورة البقرة/ سورة إبراهيم	٨٣

- ٨٥..... سورة النساء
- ٨٦..... النساء / التوبة
- ٨٧..... سورة المائدة
- ٨٩..... سورة المائدة/النور
- ٨٩..... المائدة/ الحشر
- ٩٠..... سورة المائدة/فصلت
- ٩٣..... سورة الأنعام
- ٩٤..... سورة الأعراف
- ١٠٦..... سورة التوبة
- ١١٧..... هود/ يوسف
- ١١٨..... سورة يوسف
- ١٢١..... يوسف / (القصص)
- ١٢٢..... سورة الرعد
- ١٢٤..... الرعد/ سبأ
- ١٢٥..... الرعد/ محمد

١٢٦.....	سورة إبراهيم
١٣١.....	إبراهيم/ النحل
١٣٢.....	سورة الحجر
١٣٥.....	سورة الحجر/ الشعراء
١٣٥.....	سورة النحل
١٤٦.....	سورة النحل/ الحديد
١٤٧.....	سورة الإسراء
١٥٦.....	الإسراء / الرحمن
١٥٦.....	سورة الكهــــــــــــــــف
١٦٢.....	سورة مريم
١٦٥.....	سورة طه
١٦٨.....	سورة الأنبياء
١٧٠.....	الأنبياء/ المؤمنون
١٧١.....	الأنبياء/ العنكبوت
١٧١.....	سورة الحج

- الحج/العنكبوت ١٧٤
- سورة الحج/ فاطر ١٧٥
- المؤمنون ١٧٦
- النور ١٧٧
- الفرقان ١٧٨
- الأنبياء/الفرقان ١٨١
- الشعراء ١٨٢
- سورة النمل ١٨٦
- النمل/ القصص ١٨٧
- النمل/العنكبوت ١٩٠
- النمل/فصلت ١٩١
- سورة القصص ١٩١
- القصص/فصلت ١٩٥
- العنكبوت ١٩٦
- سورة الروم ١٩٩

٢٠٢.....	لقمان /٤٢- الشورى
٢٠٣.....	القصص/٤٢- الشورى
٢٠٣.....	السجدة
٢٠٤.....	الأحزاب
٢٠٥.....	الصفات
٢٠٦.....	سورة الصفات /الذاريات
٢٠٧.....	سورة ص
٢٠٨.....	سورة الزخرف/الشرح
٢١٠.....	سورة محمد
٢١١.....	سورة ق
٢١٢.....	سورة الحديد
٢١٣.....	سورة المجادلة
٢١٥.....	سورة الحشر
٢١٦.....	سورة الجمعة
٢١٧.....	سورة المنافقون

- سورة التغابن..... ٢١٧
- سورة التحريم..... ٢١٧
- سورة المعارج..... ٢١٧
- سورة نوح..... ٢١٨
- سورة الجن..... ٢٢٠
- سورة الإنسان..... ٢٢٠
- سورة (الانشقاق/التين)..... ٢٢٠
- سورة الأعلى..... ٢٢١
- سورة الشمس..... ٢٢١
- سورة العلق..... ٢٢٢
- سورة التكاثر..... ٢٢٢
- سورة الحمزة/الفيل/قريش..... ٢٢٢
- سورة الفلق / الناس..... ٢٢٣
- الحفاظ علي العمل أهم من العمل..... ٢٢٤
- كلمة هامة لكل طالب علم..... ٢٢٥

خاتمة..... ٢٢٦

المراجع..... ٢٢٧

فهرس المحتويات..... ٢٣١

لماذا كان هذا البحث..؟

كان المصطفى (ﷺ) يقرأ سورة (ق) على المنبر فيستمع إليها الصحب الأخيار فيفهمون معناه ولغته وفصاحه لسانه، فتتشعر جلودهم وتهتز قلوبهم لسحر بيانه، فيكفيهم ذلك موعظة فترة من الزمان. أما حال تلکم اللغة الباسلة الآن مع أبنائنا فيندى لها الجبين خجلاً؛ فمع الدعوة إلى إحلال العامية مكان هذه اللغة العظيمة ودخول بعض المصطلحات المبتذلة في اللغة، حيث أصبحنا كالأعاجم؛ فقد يُقرأ علينا القرآن كاملاً فلا يتحرك لنا ساكن، إلا من رحم ربي، **ولكن المصاب فينا لا في تراثنا.**

وإذا ما وصلنا إلى بدايات العصر الحديث فقد كثرت الهجمات على اللغة، متمثلة في الدعوة إلى إحلال العامية مكان الفصحى، لغة القرآن، تلك اللغة التي تجمع شتات المسلمين، وبها يفهمون دينهم، لذلك إذا سمعت أحداً يتكلم غير لغته - من غير ضرورة - أو يلهج غير لهجته من غير مناسبة، فلا يخامرُك شكٌ في أنه كذلك في **خُلُقِهِ** وعقيدته، ونمط فكره، وأسلوب عمله، **وهذا ما يُسمى بالعبودية الأدبية.**

لذلك كثر بعد القرون الخيرية الأولى مثل هذه الكتب التي بين يدي القارئ الكريم الآن والتي تبحث في علوم القرآن، وقد كان ذلك من دوافع قيامي بجمع مادة هذا الكتاب من كتب التفاسير والمتشابهات، لنلقى الضوء - ولو بإسهام بسيط - على أصدق الكتب كلاماً وأحسنها نظاماً، كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإن كانت لغة الكلام تقف على لساني خجلى والقلم يرتعد بين أناملتي وأنا أسطر كلمات هذا البحث؛ فقد قيل: الإنسان في سعة، وفي سلامة، من أفواه جنسه، ما لم يصنّف كتاباً، أو يقل شعراً. ويقال: من أَلَف، فقد استشرف؛ أي: مد عنقه للمدح أو الذم، فإن أحسن، فقد استعطف، وإن أساء فقد استقذف. فما كان من توفيق فأعنا هو منه منة سبحانه، وما كان من زلل فمن نفسي والشيطان.

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة
www.alukah.net